الحساب

والعرض على الله سبحانه

جلّ جلاله

الله

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

الحساب والعرض على الله سبحانه جل جلاله

ماهر أحمد الصوفي

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

الحساب والعرض على الله سبحانه

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم | الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور | الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-337-3

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٩]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

حديث شريف:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يقول اللّه عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد** » قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول اللّه، أينا ذلك الرجل؟ فقال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة** » فحمدنا اللّه وكبرنا ثم قال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » فحمِدنا اللّه وكبرنا ثم قال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار** ».

[متفق عليه]

الإهـــداء

وهبت عملي. . . .

إلى اللَّه تعالى. . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

فتقبَّل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ. . .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا. . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي   وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلٓهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

الحمد للّه الذي أسبغ عليَّ نعمه، وأتم عليَّ نعمته وكرمه، بكتابة الجزء السابع من الموسوعة (الحساب والعرض على اللّه سبحانه)، وهذا الجزء هو من أهم الأجزاء العشرة أو قل هو أهمها لأن الوقوف بين يدي اللّه سبحانه والعرض عليه والمحاسبة لهما الفيصل في رضا اللّه سبحانه، أو غضب اللّه سبحانه، ومن غضب اللّه عليه في هذا الموقف العظيم بين يديه فقد هوى وخاب وخسر خسراناً عظيماً، لأن المآل بعد غضب اللّه سبحانه هو النار.. فالبشر يومئذ ليسوا في دار الدنيا إن خاب أحدهم أو خسر يقول: سأعوض ما خسرته وخبت فيه في الأيام القادمة.. فليست هناك بعد الحساب والوقوف بين يدي اللّه والعرض عليه إلا الجنة أو النار.. نعم إلا الجنة خالداً فيها، وإما النار خالداً فيها، أو نار يعذب فيها قدر أعماله إن كان مؤمناً ولكنه كان عاصياً ومن أصحاب الكبائر التي توعد اللّه سبحانه فاعلها بالعذاب في نار جهنم.

... ففي هذا الموقف إما أن يحاسب الإنسان حساباً يسيراً ويعفو اللّه سبحانه عنه ويتجاوز، وإما أن يحاسب حساباً عسيراً فلا يغفر اللّه سبحانه له ولا يعفو ولا يتجاوز.

يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ .

[سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨]

... وقبل أن يُعرض البشر على اللّه سبحانه ويأذن ببدء

الحساب بعد الشفاعة العظمى لسيدنا محمد ﷺ كان الناس في موقف شديد أليم ذليل تحدثنا عنه في الجزء السادس من الموسوعة. . . حيث ترك اللّه البشر وأقصد المشركين والكافرين والعصاة في أرض المحشر قرابة خمسين ألف سنة ذاقوا فيها أشد أنواع العذاب والآلام والمهانة. . وعلى الرغم من عظيم الموقف في أرض المحشر إلا أنه لا يشكل شيئاً أمام الوقوف بين يدي اللّه سبحانه والعرض عليه. . حيث يتمنى المشركون والكافرون والعصاة أن تسوى بهم الأرض، فهي أهون عليهم من العرض على اللّه سبحانه وبيان كفرهم وشركهم ومعصيتهم عند الذي لا تخفى عليه خافية.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٢]

والموقف مهيب جليل حيث تجثو الخلائق على ركبها عند العرض على اللّه سبحانه أمماً أمماً ليس بيدها حول ولا قوة ولا ترجو إلا رحمة اللّه سبحانه، حتى الملائكة وحتى الرسل الذين اختصهم اللّه بالفضل والحكمة والعلم والرسالة والنبوة تضيع منهم الإجابة عن سؤال اللّه سبحانه لهم عن تبليغهم رسالة ربهم إلى أقوامهم من هول الموقف وهيبته وعظمة الخالق.

يقول تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٠٩]

فإذا كان هذا موقفَ الرسل بين يدي اللّه سبحانه، فماذا سيكون موقف عامة المؤمنين؟. . بل قل ما سيكون موقف أهل الشرك والكفر

والمعاصي والكبائر الذين تحدوا اللّٰه في الدنيا وعصوه وعبدوا غيره وأشركوا معه إلٰهاً آخر وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، بل عصوا اللّٰه جِهاراً نهاراً على أعين الناس دونما حياء ولا رادع ولا خوف.

يقول تعالى عن هؤلاء في كتابه الكريم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة المائدة، الآيتان: ٧٩، ٨٠]

فهؤلاء سخط اللّٰه عليهم في الدنيا، وغضب اللّٰه عليهم غضباً عظيماً في الآخرة في أرض المحشر وعند العرض عليه، وأما عند حسابهم فإن اللّٰه سبحانه يفضحهم على رؤوس الخلائق جميعاً.

. . . وفي هذا الجزء السابع (الحساب والعرض على اللّٰه) رحلة طويلة جداً وبيانٌ واضح مفصل كيف يكون العرض على اللّٰه؟ وكيف يحاسب الناس؟ ومن هم الذين ينجون؟ ومن هم الذين يهوون؟ ويسقطون؟ وكيف تكون رحمة اللّٰه بالمؤمنين؟ وكيف يكون غضب اللّٰه على الكفرة والفجرة والعصاة وأهل الكبائر الذين لم يرعوا حرمةً للّٰه سبحانه في الدنيا؟ فحالهم عند اللّٰه يومئذ أنه لا عهد لهم ولا أمان.

الفصل الأول

- المدخل.
- نزول الملائكة من أرجاء السموات.
- العرض على اللَّه سبحانه.
- عرض الأمم على النار.
- بداية العرض على اللَّه بعد أن يأذن سبحانه بفصل القضاء.
- أول العرض دعوة آدم عليه السلام ليخرج من ذريته أهل النار.
- دعوة الرسل جميعاً لسؤالهم عن تبليغ رسالات اللَّه إلى أقوامهم.
- سؤال عيسى ابن مريم عليه السلام وتبرؤه ممن اتخذه وأمه إلٰهين من دون اللَّه سبحانه.
- دعوة الأمم وسؤالهم مجتمعين أمة أمة.
- شهادة اللَّه سبحانه على الأمم أعظم الشهادات.
- الشهادة يوم القيامة وإكرام أمة محمد ﷺ بشهادتهم على جميع الأمم.
- شهادة الرسل على أقوامهم وأممهم.
- دعوة الشركاء الذين زعم الكافرون أنهم شركاء للَّه سبحانه وتعالى عما يشركون.
- براءة الملائكة من تهمة التأليهِ من الأقوام المشركة والكافرة.
- الاختصام يوم القيامة بين الجماعات والأمم في الكفر والحقوق.
- الاختصام بين الإنس والجن ومحاسبة الجن والشياطين.
- القصاص من الوحوش والأنعام ومحاسبتها وتحويلها تراباً.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

لقد قدَّمنا في الجزء السادس من هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) كيف أن اللَّه سبحانه وتعالى يقبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ التي تعم جميع أهل الموقف على مختلف أديانهم وعقائدهم، ليتخلصوا من أحوال الموقف وكرباته بعد اشتدادها وطولها، حيث امتدت إلى خمسين ألف سنة من سنوات الأرض... وذاق فيها المشركون والكافرون والمنافقون والضالون وأهل الكبائر والفواحش التاركون لفرائض اللَّه المستهزئون بدينهم وعودتهم إلى اللَّه سبحانه وتعالى من أهل الإسلام... ذاقوا الويل والثبور والعذاب والمهانة والذل والصغار والجوع والعطش، حيث تقطعت أحشاؤهم واحترقت أجوافهم وهم يستصرخون.. هل من منقذ لنا؟... هل من مخلِّص لنا..؟... هل من شفيع يشفع لنا عند اللَّه سبحانه وتعالى.. وعلى طول هذه السنوات لا يجيبهم أحد ولا يسمعهم أحد سماع قبول، ولا ينجدهم أحد.. ومن الذي يستجيب لهم والأمر يومئذ للَّه وحده؟ ..لا يقبل شفاعة من أحد إلا بإذنه.. ولا يقبل شفاعة إلا من ارتضى شفاعته... وقد بيَّنت أن اللَّه سبحانه وتعالى أراد عندما قبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ أن يظهر للثقلين من أهل الموقف وعلى اختلاف أديانهم وعقائدهم سماوية كانت أو أرضية... من هو رسول اللَّه ﷺ، ومن هو الإسلام، ومن هم المسلمون، الموحدون الذين عُودوا من قبل أمم شتى في الحياة الدنيا واتخذوهم سخرياً، وما فتئوا على

محاربتهم والكيد لهم والتآمر عليهم ووصفهم بأوصاف بشعة وكذلك الكيد لدينهم ولكتابهم (القرآن الكريم) بكل وسائل الكيد والتآمر من أهل الكتاب والمشركين وأصحاب العقائد الأرضية الضالة، لقد صوَّر لنا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة معاداة هذه الأمم لأمة الإسلام ودينهم وكتابهم ونبيهم.. أهل الحق وأصحاب دين اللَّه (الإسلام) الذي ارتضاه اللّه برحمته للعالمين جميعاً.. ولكنهم رفضوا وما فتئوا بالكيد والأذى يتآمرون.

يقول تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٦]

وكان جل سعي الكفار في الدنيا أن يطفئوا نور اللّه في الأرض، نور الإيمان ونور الإسلام ونور الحق

يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

[سورة الصف، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢٠]

هم يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم العسير حيث ألجمهم العرق الذي يخرج من أجسادهم فوصل إلى أفواههم كما غطتهم ذنوبهم وآثامهم وكفرهم وشركهم إلى أعلى من شحمات آذانهم... نعم شَحمات، يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم ولكن إلى أين.. إلى

الوقوف بين يدي اللَّه تعالى والعرض عليه.. وهذا أشد عليهم من يوم الموقف.. لأنه ليس بين أيديهم حسنات ولا يحملون على ظهورهم عند لقائهم باللَّه ومحاسبتهم إلا الذنوب والمعاصي والكفر والشرك وتحديهم للَّه في حياتهم الدنيا واستكبارهم في الأرض على طاعة اللَّه ووحدانيته... وماذا بعد العرض على اللَّه سبحانه إلا الذل والهوان والأغلال والقَطِران، وجهنم التي ستصب من فوق رؤوسهم الحميم والحمم والسموم، وكلاً من يحموم وأشواك وزقوم ونار تلفح الوجوه وتسقط اللحوم وطعام وشراب يقطع الأمعاء... نعم قبل اللَّه سبحانه الشفاعة العظمى من رسول اللَّه ﷺ ببدء الحساب والعرض عليه.. ولكن ليس رحمة بالكافرين والمشركين... ولكن ليحكم بعد حسابهم وتقريرهم بشركهم وكفرهم ومعاصيهم ومؤامراتهم واعتدائهم على هذه الأمة الإسلامية وعلى دينه الحق إلى ما هو أشد وأعظم وأدهى وأمر.. إلى نار جهنم وبئس المصير.. خالدين فيها أبداً لا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

نزول الملائكة من أرجاء السموات

يقول تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٦ ـ ١٩]

قدَّمنا عند الحديث عن قيام الساعة هذه الآياتِ الكريمةَ عندما تحدثنا عن انشقاق السموات وتفجرها وانكدار نجومها.. واللَّه سبحانه يشير في هذه الآيات الكريمة أنه في حال انشقاق السماء فإن الملائكة الذين يتواجَدون في جميع السموات يصبحون بأمر اللَّه سبحانه علىٰ أرجائها ينتظرون أمر اللَّه سبحانه... ثم يُجمع الناس في أرض المحشر في الدنيا ثم ينقلهم اللَّه سبحانه بزجرة واحدة إلى أرض المحشر التي خصَّها اللَّه سبحانه ليوم القيامة، ثم تقف الخلائق بأمر اللَّه سبحانه على أرض المحشر خمسين ألف سنة من سني الدنيا، حيث تدنو الشمس من رؤوسهم قدر ميل كما قدَّمنا في الأحاديث الشريفة، فينالون من العذاب ما لا يطاق ولا يحتمل ويذوقون من أصناف العذاب وألوانه ما هو شديد ومهين... وتبقى حال الخلائق على هذا العذاب ما عدا المؤمنين من الأقوام والمسلمين الطائعين من أمة محمد ﷺ، فهم يومئذ في رحمة اللَّه تعالى، ثم يأذن اللَّه سبحانه بعد شفاعة رسول اللَّه ﷺ بفصل القضاء والحساب فتأتي الخلائق أمماً أمماً تجثو على ركبها استعداداً لفصل القضاء ثم تبدأ الملائكة بالنزول من

أرجاء السموات بأمر اللّه سبحانه إلى أرض المحشر التي تتجمع عليها الخلائق منتظرة الحساب والعرض على اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٠]

وقال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢١ ـ ٢٣]

لقد تعددت الآيات الكريمة التي يتحدث اللّه سبحانه فيها أنه بجلاله وعظيم قدرته سيجمع الخلائق إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم، وكذلك يجمع اللّه المرسلين ثم يجيء سبحانه في ظلل من الغمام مع الملائكة لفصل القضاء والحساب بين الخلائق.

فاللّه سبحانه سيجيء والملائكة ولكن هذا من علم اللّه سبحانه أعلمنا أنه سيجيء والملائكة، ولكن الكيفية المشابهة للمخلوقات مستحيلة في حقه.

والقارئ للآيات الكريمة التي قدَّمناها يجد أن اللّه سبحانه يتحدث فيها أنه سيجيء مع الملائكة وفيها يتحدث سبحانه أن الملائكة تأتي وتنزل من السماء لوحدها دون معية اللّه سبحانه.

كما في قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٥]

ويمكن تفسير هذا بأن ملائكة اللّه سبحانه لا يعلم عددها وخلقها وحجومها إلا اللّه سبحانه، وهم كما قدَّمت بعد انشقاق

السماء عند قيام الساعة يقفون على أرجاء السموات ينتظرون أمر اللّه سبحانه.. فإذا جاء الأمر إليهم هبطوا من أرجاء السموات إلى أرض المحشر ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.. فربما يختص اللّه سبحانه ملائكة وهم المقربون فيجيئون مع اللّه وهم الملائكة العظام الشهود على الخلائق جميعاً ـ حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والملائكة الكتبة الحافظون الشاهدون على أعمال الخلائق.. واللّه أعلم.

... ولقد ذكر في حديث الصور المتقدم أنه إذا ذهب رسول اللّه ﷺ ليشفع عند اللّه سبحانه ليفصل بين عباده بعدما يُسأل آدم في ذلك والأنبياء من بعده فكل يقول: لست بصاحب ذلكم حتى ينتهي الأمر إليه ﷺ فيشفع عند اللّه ببداية الحساب والعرض على اللّه.. ثم يرجع إلى مقامه الأول...

حينئذ تنشق السموات بغمام النور.. وتتنزل الملائكة تنزيلاً، فينزل أهل سماء الدنيا من الملائكة، فيحيطون بالإنس والجن والوحش سكان الأرض دائرة، ثم كذلك ملائكة السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فكل أهل سماء يحيطون بمن قبلهم دائرة...

ثم ينزل الملائكة الكروبيون، وحملة العرش، والمقربون.. ولهم زجل بالتسبيح، والتقديس، والتعظيم، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبحان ربنا الأعلى يا رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الذي يميت الخلائق ولا يموت.

. . . ويقول ابن كثير . . . فإذا رأى أهل الأرض المجتمعون في هذا الموقف العظيم الملائكة وهم ينزلون من السموات فزعوا إليهم ويقولون: هل فيكم ربنا؟ وذلك لعظيم أحجامهم ونورهم . . فيفزعون من ربهم، ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا وهو آت، وهكذا تتحلق الملائكة بعد أن تنزل من أرجاء السموات بالخلائق صفاً صفاً حتى يكتمل نزول الملائكة من السموات السبع وكل ملائكة سماء تتحلق حول الخلق حتى تكتمل سبعة صفوف . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه في كتابه العزيز أن الملائكة تنزل وتأتي صفاً أرض الحشر، يقول تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ .

[سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢]

فإذا ما اكتمل حشر الخلائق أمماً أمماً والملائكة صفوفاً صفوفاً، مُنع الكلام منهم فلا يستطيع أحد أن يتكلم ولو بكلمةٍ واحدة إلا إذا أذن اللَّه سبحانه ورضي له قولاً وقال حقاً وصواباً(١) .

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

. . . يا له من موقف جليل مهيب . . . والخلائق إنسها وجنها ووحشها وطيرها والذين لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه . . . وكذلك الملائكة الذين قال عنهم اللَّه سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ .

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

الخلائق جاثية والملائكة صفوف . . . وكلهم صامتون لا يتكلمون

(١) ابن كثير كتاب الأهوال يوم القيامة صفحة ١٠٣ طبعة دار اليمامة دمشق

ولا يستطيعون الكلام، يمنع اللّه سبحانه الكلام عنهم ويأمر ألسنتهم بالسكوت فلا تستطيع الكلام. . . أليس هو الخالقَ؟ ألا يعلم كيف يأمر الألسنة فلا تستطيع الكلام؟ ألم يضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً؟

. . . عندما دعا زكريا ربه أن يهب له غلاماً فاستجاب اللّه سبحانه لدعائه وكان شيخاً كبيراً وامرأته عاقراً. . . لذلك سأل ربه كيف يكون ذلك؟ فأجابه ربه إنه يفعل ما يشاء وهو قادر على كل شيء. . . عند ذلك سأل زكريا ربه أن يجعل له آية في ذلك يعني دليلاً. . فقال له ربه: إن الدليل أنك لن تكلم الناس ثلاثة أيام. . . أي يمنع اللّه لسانه من النطق مع أنه صحيح معافى.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٤١]

والذي يعلم السر في خلق إنسان واحد يعلم السر في خلق جميع الخلائق، والذي يستطيع أن يمنع اللسان عن النطق يستطيع أن يسكت الألسنة جميعاً ولو كان عددها آلاف المليارات. . .

وصدق اللّه تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ . . . تصوَّر هذا الموقف الجليل المهيب! ولا أحد من خلق اللّه يستطيع أن يتكلم، سكوت وصمت وسكون لا ندري أهو مخيف أم مهيب؟. . ولكنها المهابة والخشية في حضرة اللّه سبحانه أعظم.

. . . إن هذا الموقف العظيم له ما يشبهه وأنت في الصلاة في المسجد وآلاف الخلق تصلي وراء الإمام. راقب هذا الهدوء والسكوت المطبِق وأنت في حضرة اللّه سبحانه في الصلاة السرية أو عند التشهد.

ولقد ثبت في الحديث الشريف (ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل) وقد عقد البخاري باباً في ذلك.

... كل أمر يوم القيامة في غاية التنظيم والدقة والترتيب، فالعشوائية والفوضوية واختلاط الحابل بالنابل والهرج ليس موجوداً يوم القيامة، فهذه صفات إنسانية بشرية، إذا ما وقفوا في الازدحام تكون عندهم الفوضى والاختلاط والعشوائية، أما في حضرة الإلٰه حيث يجمع بقدرته بليارات الخلائق.. وكل فرد منها عرف مكانه وموقعه صفوفاً منظمة وأمماً جاثية، وأعناقاً مشرئبة، وعيوناً شاخصة، وألسنة لا تنطق، وآمالاً عريضة بالنجاة..

ولكن هيهات هيهات.. فالجميع في حضرة الخالق الذي لا تخفى عليه خافية ولو كان قدر ذرة من خير أو شر.....بعد ذلك يبدأ العرض على اللّه سبحانه ثم عرض الأمم على النار ثم إخراج بعث النار ثم يؤتى بالنبيين والمرسلين والشهداء......

العرض على الله تعالى

. . . ماذا يعني العرض على اللّه سبحانه؟؟

إنه يعني الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض مالك الملك الذي بيده الأمر من قبل ومن بعد، أرحم الراحمين على المؤمنين والمنتقم الجبار من الكافرين والمشركين. . . فواللّه لو أن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن عرضت على اللّه سبحانه ووقفت بين يديه يوم القيامة لذابت وانصهرت خجلاً وحياء وخشية وهيبة لهذا الإله العظيم الذي خضعت لعظمته الرقاب ودانت لقدرته الخلائق. . ولو نظرت في أرض المحشر ورأيت الملائكة العظام والذي ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعمائة عام لرأيتهم خاشعين للّه سبحانه قد طأطؤوا رؤوسهم خشية من اللّه وحياء منه وإجلالاً لعظمته واحتراماً لقدرته وتحقيقاً لربوبيته.

. . . فماذا تفعل تلك الأمم إنسها وجنها ووحشها وطيرها إذا وقفت بين يدي اللّه سبحانه للعرض عليه وبدء فصل القضاء والحساب. . حساب الخلق أمماً أمماً وجماعاتٍ جماعات وأفراداً أفراداً يُخرج سبحانه منهم جميعاً مقدار الذرة من خير أو شر، لا تخفى منهم خافية ولا يستطيعون هرباً ولا مواراة ولا تخفياً. . ولا يستطيعون نفاقاً ولا كذباً ولا غشاً ولا عذراً ولا غدراً ولا خيانة. . ليس لهم من الأمر شيء ولا يقدرون على شيء، ولا يملكون شيئاً يدافعون به عن أنفسهم، ولا يملكون لأنفسهم حيلة بل لا يملكون لأنفسهم من أنفسهم شيئاً إذ ستشهد

عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم ولا يستطيعون نوماً ولا سهراً ولا راحة ولا يفتر عنهم الذل والهوان، فليس لهم وزن ولا قيمة ولا اعتبار، ولهوانهم وصغارهم وذلهم يتمنون أن يكونوا أنعاماً أو وحوشاً حتى يصيروا تراباً، كما صارت الوحش والطير تراباً بأمر مالك الملك وفي الدنيا قال لهم سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فاليوم لا مشيئة لهم بشيء، فالمشيئة للّه وحده فهو الحاكم والآمر والناهي مشرئبة أعناقهم شاخصة أبصارهم.. لا يرتد إليهم الطرْف وأفئدتهم هواء وقلوبهم جوفاء يتمنون الموت فلا يجدونه، من خلفهم ومن أمامهم ملائكة اللّه الغلاظ الشداد الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويكفي البشر يومئذ رؤية ملائكة العذاب من حولهم رعباً وخوفاً وهلعاً.

... يأذن اللّه سبحانه بفصْل الحساب والعرض عليه، وتأتي الأمم بين يديه كل أمة وما كانت تعبد حفاة عراة، سيدهم وخادمهم وزعيمهم وعبدهم سواء.. وكل أمة تجثو بين يدي اللّه سبحانه تنتظر فصل القضاء ومحاسبة اللّه سبحانه.. فإذا ما أخذت كل أمة موضعها الذي حُدد لها ومكانها الذي يختاره اللّه سبحانه لها حينئذٍ تجثو كل أمة على ركبها.

يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

. . . فأول العرض أن تأتي كل أمة مع كتابها وهي بحالة الجثي أي جاثية على ركبها من رهبة الموقف وعظمته. . ويقال هذا أيضاً إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا على ركبتيه من الهول والفزع، حتى ذكر ابن كثير في تفسيره: إن هذا الموقف يشمل حتى الأنبياء، وإبراهيم عليه السلام يقول: نفسي نفسي، وهذا سيأتي في حينه. . فإن الأمم تأتي عند العرض على اللّه تعالى جاثية على ركبها حتى أمة محمد ﷺ ثم يؤمِّنها اللّه سبحانه من الفزع فيما بعد إن شاء اللّه.

ـ عن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم**».

. . . فعند العرض على اللّه كل أمة تجثو على ركبها معها كتابها، منظمة صفوفاً تنتظر أمر ربها وتنتظر حسابها.

يقول اللّه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٩]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٨]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

فهذه الآيات الكريمة تبيِّن لنا كيف يُعرض الناس على ربهم قبل بداية الحساب... فالعرض شيء وبداية الحساب شيء والإذن فيه شيء آخر.. وهناك (زمن ما) يكون بين العرض والحساب.. والأمم صفاً صفاً جاثية على ركبها.

عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**»(١).

..وفي هذه الحالة ينشغل كل إنسان بنفسه ولا ينظر إلا لنفسه ولا يدعو إلا لنفسه، لا يؤذن لأحد بالكلام، كل يجثو على ركبتيه في صف منظم... كل لا يعلم مصيره ولا إلى أين يذهب، حتى المؤمنون يخافون ويتذكرون بعضاً من أخطائهم وذنوبهم فيظنون أنها ستهلكهم، الجميع خائف يرجو رحمة اللّه سبحانه، ينسى أحبابه وأقرباءه وأباه وأمه وأبناءه ويأتيهم التأنيب من ربهم ـ فيخاطب الكافرين والمشركين:

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٨]

زيادةً في التأنيب والعذاب النفسي بعد طول موقفهم لا يكلمهم اللّه في طول الموقف الذي امتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين، وعند العرض على اللّه يكلمهم تأنيباً على تكذيبهم في الدنيا.. وأنهم لن يعودوا ولن يجمعهم اللّه كما وعد على لسان جميع أنبيائه ورسله

(١) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم الحديث (٢٤٢٥).

وعلى لسان كل الكتب السماوية، فهذا زعمكم الذي زعمتم به. وهذا موعدكم وهم في حالة الذل والهوان جاثين على ركبهم تتحلق حولهم الملائكة.. فإذا خاطبهم اللّه كما قلت فإنه تأنيب لهم.

... وتقول الملائكة يومئذ: نعم هؤلاء هم الذين كذَبوا على ربهم وكذَّبوا بالساعة والقيامة.. بل كذبوا بذات اللّه سبحانه.. فتلعنهم الملائكة في هذا الموقف الذليل.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وتدرك الأمم الكافرة على أنواعها الكثيرة ومن طول الموقف وتأنيب اللّه سبحانه لهم وشهادة الشهود من الملائكة واللعنات التي تنصب عليهم أنهم هالكون.. عند ذلك كل واحد فيهم يفكر كيف يرد الكفر والشرك والمعصية عن نفسه باتهام غيره أنه كان السبب أو يكذب الشهود والرسل والملائكة... وكذلك المنافقون الذين يظنون أو ظنوا أن ظاهر العمل الذي كانوا يعملون به من أعمال صالحات خداعاً وكذباً من أجل مصالحهم الدنيوية وتحقيق رغباتهم.. إن ظاهر الأعمال ينفعهم.. وهم لا يعلمون أن اللّه عالم بأحوالهم وبواطنهم وسرائرهم مثل علمه بظاهر أعمالهم.. فإذا كانوا على هذه الحالة من الهوان والصغار جاءهم من اللّه ما لا يحتسبون.

عرض الأمم على النار

وخلال هذا العرض على اللَّه سبحانه يأمر اللَّه سبحانه جهنم فَتُسعَّر، كما يأمر الجنة أن تزلف أي تتقرب من أهلها وأصحابها ووارثيها وهم في حالة العرضِ على اللَّه سبحانه. . . فإذا ما سُعرت النار. . . يأمر اللَّه الملائكة الموكلين بالنار أن يخرجوا منها عنقاً نارية تمر على أهل الموقف وعلى جميع الأمم. . تمر من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وشمائلهم. . تلفح بحرها الكافرين والمشركين والضالين وتبتعد عن المؤمنين الموحدين المسلمين ولكنهم يرونها أمامهم تمر على الأقدام. . . فتصبح القلوب عند الحناجر، ولولا أن اللَّه سبحانه قضى أنه لا موت لمات كل من رأى هذه النار ولو من بعيد. . !

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾ .

[سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥]

في هذه الآيات الكريمة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا كيف تعرض النار على أصحابها وذلك قبل دخولهم في جهنم... إنما يعرضهم اللَّه سبحانه على النار ويعرض النار عليهم في أكثر من موقف من المواقف الطويلة الرهيبة يوم القيامة على طوله، وأشدها عند العرض عليه.

وهذا العرض إنما يكون عند انتظار الناس أن يبدأ اللَّه فصل الحساب... ذلك حتى لا يُترك الكافرون والمشركون في راحة أبداً. ومنذ نفخة البعث والحشر في أرض الدنيا ثم الحشر على أرض المحشر بيومه الطويل الذي أسلفنا ذكره، والمواقف فيها ذل ومهانة، وعذاب للكافرين لا يطاق من اللَّه سبحانه، أولئك الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، فكفروا وأشركوا وضلوا وأضلوا وحاربوا المؤمنين بكل ما لديهم من وسائلَ وأساليب ولقد تركهم اللَّه في الدنيا يسرحون ويلعبون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام... أما اليوم فلا.. فالأمر يومئذ للَّه وحده... في هذه الأثناء يعرضون على النار.. وتسعر النار وتؤمر أن يُخرج منها شيء.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

فتسعر النار وتجيء وتقترب ويخرج منها الأهوال وتقرب من الكافرين، فيخرج منها عنقٌ وأعناقٌ فتمر من فوقهم كجبل أظلهم.

يقول تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتىٰ**

بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[١] .

فإذا خرجت النار من جهنم على شكل زمام يجره الملائكة تتغيظ وتزفر من الكافرين، وتغيظها وزفيرها يدخل على القلب رعباً لا يوصف.. ثم يزداد غضبها وغيظها على من أنكر وحدانية اللّه وشهادة لا إلٰه إلا اللّه.. فتشهق وهي تفور بأصوات مرعبة تزيد من الخوف والألم والحسرة.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى: ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٨]

فكيف تتصور حال الناس عندئذ؟؟ هذه المشاهد يراها الكافرون وأعوانهم ويراها أيضاً المسلمون الموحدون وإن كانوا في مأمن منها ولكنهم يرونها.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق ويقول: إني وكلت بثلاثة: بمن دعا مع اللّه إلٰهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»**[٢]

ويعني بالمصورين الذين ينحتون التماثيل.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة.. باب في شدة حر جهنم رقم الحديث ٢٨٤٢.

(٢) رواه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم الحديث ٢٥٧٤.

ﷺ: «**يخرج عنق من النار فيتكلم فيقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللّٰه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم**».

[رواه الإمام أحمد]

وأما قوله ﷺ: فيقذفهم في غمرات جهنم.. ليس القذف نهائياً، لأنهم في حالة عرض على اللّٰه بل وراءه عودة وربما قذف كثير وعَود كثير حتى يدخلوا جهنم خالدين فيها أبداً.. والعلم عند اللّٰه، هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم رسول اللّٰه ﷺ في الحديث ينطوي عليهم العُنُق من النار وهم في موقف العرض على اللّٰه فيلتقطهم من بين الخلائق لأن لهم سيما سواد الوجوه من الضلال والكفر والشرك ومعصية اللّٰه سبحانه.

.. تماماً كما يلتقط الطائر حب السِّمْسِم وكما يلتقط العُقاب والنَّسر فريسته بعد أن يعاينها وهو في السماء فيهوي إليها بسرعة فيلتقطَها دون أن يخطئها.

وكل هذا وما يراه الكافرون إنما هو من وعد أجَّله اللّٰه سبحانه لهم إلى هذا اليوم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ففي هذا الموطن الرهيب كل الأمم جاثية على ركبها ومنهم أمة محمد ﷺ، لأن في هذا الموطن لا بد أن تجتمع كل الأمم، لأن اللّٰه

سبحانه بعد هذا سيبدأ ويأذن بفصل الحساب والقضاء، وأول ما يبدأ بمحاسبة الأمم كأمة مجتمعة ثم يتفرقون في الحساب فرادى.

.. فإذا ما خرج هذا العنق من النار الذي يسقط القلوب ويحرق النفوس ويدخل الرعب على أي كان من أهل الموقف حتى لو كانوا أنبياء ومرسلين... صحيح أنه لا يصيبهم ولكن الإنسان إنسان وما يراه بأم عينيه ويشاهده يدخل الرعب عليه، فلا يفكر الإنسان إلا بالنجاة ولو على حساب البشرية جمعاء.

قال عبد الرزاق: «**حدثنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرَّ وتُرعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ويقول: رب لا أسألك إلا نفسي**»[(١)]

.. نحن في الدنيا إذا سمعنا صوت رعد قوي أتبعه بَرق ثم أتبعه رعد بما يشبه الصاعقة، تطير قلوبنا فزعاً أو حدث زَلزال أو حريق أو هدم أو ما يشابه ذلك، كل ذلك على صغره وبساطته لا يشكل شيئاً ولا يقارن بما سيحدث في الآخرة.. مع ذلك نمتلئ رعباً وتُرتعد فرائصنا ونسأل اللّه سبحانه اللطف ونلحُ في الدعاء.

أما ابن كثير في تفسيره فقد أوضح مثل هذه المواقف فقد قال: «**وترى كل أمة جاثية**» أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى عليه السلام ليقول: «**لا أسألك اليوم إلا نفسي**».

[مختصر تفسير ابن كثير ص ٣١٢]

---

(١) رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي هاشم(الدر المنثور) (٦/ ٢٣٩).

بداية العرض
بعد أن يأذن اللَّه سبحانه
بفصل القضاء

. . . إذا انتهى عرض الأمم على اللَّه سبحانه، ومن ثَمَّ عرض النار عليهم كما تقدم، تعرف كل أمة حقيقة موقعها ووزنها وقيمتها من بين الأمم، فينال الكافرون والمشركون والعصاة ما ينالون من مواقف الذل والمهانة والعذاب، يأتي اللَّه سبحانه (بآدم) أبي البشر ويوقفه بين يديه ويكلمه بكلام تسمعه الخلائق جميعاً، ويقول له: أن يخرج من ذريته بعث النار أي أصحاب النار الذين يستحقون الدخول فيها ما بين خالد فيها إلى معذب فيها قدر معاصيه وكبائره. . ولقد بيَّن لنا رسول اللَّه ﷺ في أحاديث شريفة هذا الموقف العصيب على الأمم جميعاً بما فيهم أمة محمد ﷺ .

أول العرض دعوة آدم عليه السلام ليخرج من ذريته أهل النار

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يقول اللّه عزّ وجلّ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعِمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد**». قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول اللّه، أيّنا ذلك الرجل؟ فقال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة**»، فحمدنا اللّه وكبَّرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فحمِدنا اللّه وكبَّرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر[1] أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة[2] في ذراع الحمار**».

[متفق عليه][3]

عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يقول اللّه: يا آدم، قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك، والخير بين يديك، يا رب، وما**

---

(١) شطر: نصف.

(٢) كالرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع.

(٣) متفق عليه مسلم ٢٠١ الفتح (١٩/ ١٧٩).

بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال: فيومئذ يشيب المولود. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ٢]

قال: فيقولون: أيّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد**». قال: فقال الناس: اللَّه أكبر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**».

قال: فكبَّر الناس، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض**»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته**(٢)**، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث**(٣) **جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مِائة تسعةً وتسعين**»، فقالوا: يا رسول اللَّه إذا أخذ منا من كل مِائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: «**إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**»(٤).

تنبيه: في حديث قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٤١) ومسلم برقم (٢٢٢) وأحمد برقم(٣/ ٣٣).

(٢) أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.

(٣) البعث: بمعنى المبعوث وأصلها من السرية التي يبعثها الأمير.

(٤) رواه البخاري الفتح ١٤/ ١٧٨.

وفي حديث قال: من كل مائة تسعة وتسعون. . . في ظاهر الحديثين تعارض ولكن نقول: في حديث أبي سعيد حمل على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد. . وفي حديث أبي هريرة حمل على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة.

. . . ومنها أيضاً: إن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق جميعاً وإن حديث أبي هريرة يتعلق بهذه الأمة خاصة.

. . . وعندما تستمع الخلائق في هذا العرض إلى اللَّه سبحانه والأمم جاثية على ركبها، تنتظر حسابها ورحمة اللَّه سبحانه بها، بعد أن أدركت عظيم جُرمها ما عدا أمة محمد ﷺ في حق اللَّه، وما فرطت في حياتها الدنيا واستهْترت وكذبت وأشركت وتبعت شياطينها وسعت وراء شهواتها وملذاتها. . .

بعد أن تسمع الخلائق أن الناجي من هذه الحشود الهائلة والتي تعد بعشرات المليارات من الخلق لا يتجاوز عشرة من كل ألف. . وأن ما ينتظرهم أسوأ مما فات على عظيم هوله وعذابه وآلامه. . .

. . . لقد شفع لهذه الأمم الهائلة المحتشدة رسول اللَّه ﷺ ليخلصوا من هول الموقف الذي امتدَّ إلى خمسين ألف سنة. واستجاب اللَّه سبحانه لمحمد ﷺ وأذن بالعرض عليه وحساب الأمم والأفراد.

. . . فإذا كان رسول اللَّه ﷺ شفع لهم عند اللَّه سبحانه وتعالى ببدء فصل القضاء والحساب. . فمن يشفع لهم بعد الآن؟. .

من يشفع لتلك الأمم الكافرة المشركة الضالة التي عاندت ربها في الحياة الدنيا وتحدت الإله بكفرها وعصيانها؟. . من الذي يشفع ولا شفيع إلا بإذن اللَّه تعالى؟

وكيف يأذن اللَّه سبحانه أن يُشفع لكفر وشرك؟... وهل للشرك والكفر شفاعة يوم القيامة؟

هؤلاء الكفرة لا يرجون شفاعة لعلمهم بحالهم وما فعلوه في حياتهم الدنيا... ولكن أملهم الوحيد الذي يبقى عندهم هو أن تسوى بهم الأرض، أو يكون حظهم كحظ الوحوش والأنعام، حيث يقول اللَّه سبحانهُ لها بعد حسابها: كوني تراباً فيتمنوا أن يتحولوا إلىٰ تراب... كان اللَّه سبحانه يدعوهم في الدنيا ليؤمنوا به ويطيعوه ويؤدوا ما عليهم من طاعة وعبادة... ولهم في هذه الآخرة التي هم واقفون فيها جنات النعيم، ولقد عقد اللَّه سبحانه لهم هذه المقارنة في كتابهِ الكريم عَلّهم ينتبهون ويدركون عظيم فعلهم وشركهم ونتائجه المرعبة التي أدركوها الآن في هذا الموقف.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

لقد أعطاهم اللَّه سبحانه في الدنيا حرية العمل والاعتقاد، وبهذه الحرية ظنوا أن اللَّه سبحانه غافل عنهم وعن كفرهم وأفعالهم ـ تمادَوا على اللَّه سبحانه وعلى رسوله فكذبوهما..

وكذبوا كل دعوة تدعو إلى اللَّه سبحانه.. نعم كانت لهم الحرية في الدنيا فاختاروا الكفر.. ولا حرية لهم اليوم، فالأمر اليوم للَّه سبحانه وحده دون أي أحد من خلقه ـ ففي القرآن الكريم أعطاهم اللَّه سبحانه حرية الاعتقاد فمن شاء منهم آمن ومن شاء منهم كفر، ولكن توعد كل مَنْ يختار الكفر جهنم خالدين فيها أبداً... كما وعد الذين يختارون الإيمان جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها..

فاللَّه سبحانه بيّن وأعطىٰ وأظهر للناس أجمعين ما يكون وما سيكون، ولا حجة لأحد عند اللَّه سبحانه ولا يحق لقوم أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٢٩ ـ ٣١]

هذا هو الحق من اللَّه سبحانه ـ لكم المشيئة.. ولكن للذين يختارون الكفر هذه النار خالدين فيها، وللذين يؤمنون هذه الجنات خالدين فيها.

دعوة الرسل أجمعين لسؤالهم عن تبليغ رسالات اللّٰه إلى أقوامهم

ما أعظم عدل اللّٰه وحكمته وإظهاره للحق المطلق يوم القيامة؟

إن أول من يدعوه اللّٰه سبحانه للوقوف بين يديه (آدمُ) أبو البشر، فمنه كانت هذه الأقوام المحتشدة فهي ذريته، ليكون شاهداً عليهم جميعاً، وليعلم أن اللّٰه سبحانه هو الحق وحسابه حق وميزانه حق وحكمه حق، واللّٰه سبحانه لن يظلم أحداً من ذريته عند حسابهم.

... فإذا ما انتهى سؤال اللّٰه تعالى لآدم بإخراج أي تعيين بعث النار (أصحابها وأهلها ومستحقيها)... ينادي اللّٰه سبحانه الرسل فيدعوهم جميعاً للمثول بين يديه دون استثناء أحد منهم، ثم تكون المحاورة بين اللّٰه سبحانه ورسله ليشهد الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم سؤال اللّٰه تعالى لرسله عن تبليغهم رسالات اللّٰه وكتبه التي أرسلها لهذه الأقوام...

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٠٩]

هذه الآية تأكيد من اللّٰه سبحانه أن أول السؤال والحساب

سيكون للرسل جميعاً على مرأى ومسمع من أقوامهم.. ولا يخلو قوم من رسول شاهد عليهم وأنه أبلغهم رسالة ربه... ذلك أن اللّه سبحانه يقول في القرآن الكريم: إنه ليس من أمة إلا جاءها رسول أو نبي نذير من اللّه سبحانه في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٣]

... ويكون السؤال من اللّه سبحانه على صورة جماعية للأنبياء جميعاً.. فليس السؤال في البداية موجهاً إلى نوح عليه السلام أو إبراهيم عليه السلام... وإنما السؤال عام لجميع الأنبياء والمرسلين..

في هذا السؤال.. يكون الموقف عظيماً فهم بين يدي جبار السموات والأرض مالك الملك.. هم ليسوا في الدنيا.. هم في الآخرة وقد عاينوا ما أصاب الأمم في الموقف الطويل.. وشاهدوا عظمة اللّه سبحانه.. وشاهدوا بأعينهم الملائكة العظام والذين ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعمائة عام، كما ورد في الحديث المتقدم.. كلهم خاشعون للّه سبحانه لا يرجون إلا رحمته.. لقد شاهدوا أممهم كيف تجثو على ركبها وقد امتلأت قلوبهم خشية ورهبة وهلعاً، كلهم يسعى للنجاة بنفسه.. في هذا الموقف الرهيب الجليل بين يدي خالق الخلق ومالك يوم الدين.. تضيع الإجابة من ألسنة الرسل جميعاً... ربما لقليل من الوقت أو بعض الوقت أو كثير من الوقت.. فيرجعون الإجابة إلى اللّه سبحانه فهو مالك الملك وعلام الغيوب

وهو أعلم منهم بأقوامهم وبماذا أجابوهم.. إنه موقف الرهبة والخشية من ذي الجلال والإكرام.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية العظيمة في هذا الموطن العظيم يوم القيامة:

هذا إخبار عما يخاطب اللّٰه به المرسلين يوم القيامة عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلوا إليهم.

كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾. وقوله:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. وأما قول الرسل ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾... فقد قال مجاهد والحسن البصري والسدي: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم.

وقال الأعمش عن مجاهد: يفزعون فيقولون: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على أقوامهم، وقال ابن عباس: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ يقولون للرب عز وجل: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا، رواه ابن جرير واختاره على هذه الأقوال، ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله: أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء[(١)].

وإذا كانت هذه الآية الكريمة تبيِّن أن الرسل في هذا الموطن لم يجيبوا اللّٰه سبحانه خشية ورهبة.. فإن هذه الآية لا تتعارض مع الآيات السابقة التي تثبت جواب الرسل حيث يسألهم اللّٰه تعالى عن أممهم وتثبت شهادة الرسل على أممهم، ولدفع التعارض فإن يوم القيامة

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٥٦.

مواقفه كثيرة لكل موقف خاصية وشأن يختلف عن غيره من المواقف.

. . . ولقد أقسم اللّه سبحانه في كتابه الكريم بأنه سيسأل جميع الرسل وسيسأل الخلق أجمعين.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

وكذلك فإن اللّه سبحانه بيَّن في آية أخرى أنه سيسأل المرسلين.. سيسأل المرسلين عن أمانة الرسالة التي بعثهم بها إلى أقوامهم، ليقيم الحجة على تلك الأقوام، ويبيِّن اللّه عدله وحكمه أنه لا يعذب أحداً إلا إذا أرسل إليهم رسولاً ينذرهم لقاء يومهم هذا.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

وفي آية أخرى يبيِّن أنه ما من أمة أو قوم إلا جاءهم رسول ونذير. يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٣]

وعلى هذا فإن جميع الأمم محاسبة ومسؤولة، واللّه سبحانه أعلم حيث أرسل لجميع خلقه رسلاً تهديهم وتنذرهم يوم الآزفة يوم لقاء اللّه سبحانه والعرض عليه وأنهم ورسلهم مسؤولون. يقول تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٦ ـ ٩]

وجاءت السنة الشريفة تبيِّن تفصيلاً كيف يُدعى الأنبياء والرسل للسؤال بين يدي اللَّه سبحانه.

ـ وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبد اللَّه بن عثمان، أنبانا ابن المبارك، أنبانا رشدين بن سعد، أخبرني ابن أنعم المعافري، عن حيان بن أبي جبلة، بسنده إلى النبي ﷺ قال: «**إذا جمع اللَّه عباده يوم القيامة كان أول من يُدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلَّغت عهدي؟ فيقول: نعم يا رب، قد بلَّغته جبريل، فيقال له: هل بلَّغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلَّغت الرسل، فيدعى الرسل، فيقول لهم: هل بلَّغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلى عن جبريل.**

ويقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلّغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلَّغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب ومنهم المصدق، فيقول الرسل: إن لنا شهوداً يشهدون أن قد بلَّغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ.

فيقال لهم: أتشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلّغوا عهدي إلى من أرسلوا إليهم؟ فيقولون: نعم، ربنا شهدنا أن قد بلَّغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب تعالى: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا، بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقضيت علينا أنهم قد بلَّغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١]».

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، قال: فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته».

وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

قال: والوسط: العدل، قال رسول اللَّه ﷺ:

« فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم»[٢].

وقد رواه الإمام أحمد بلفظ أعمَّ من هذا فقال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه، فيقول لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟**

---

(١) رواه ابن مبارك في الزهد(١٥٩٨) وابن جرير في تفسيره(٢/ ١٠) وفي الدر المنثور(١/ ٣٥١).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤٨٧) والترمذي برقم (٢٩٦١) والنسائي.

فيقولون: جاءنا نبينا وأخبرنا: أن الرسل قد بلّغوا قال:
فذلك قوله:
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[1] ».

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة أن رسول الله ﷺ قال: : « **أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى** »[2].

(١) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٥٨ وابن ماجه برقم٤٢٨٤.
(٢) رواه ابن ماجه برقم ٤٢٨٧.

سؤال عيسى ابن مريم عليه السلام وتبرُّؤه ممن اتخذه وأمه إلهين من دون اللَّه

. . . إن من أحد المواقف العصيبة يوم القيامة وفيه رهبة وخشية أن يأتي اللَّه سبحانه بعيسى ابن مريم لسؤاله عن اتخاذ الناس له ولأمه إلٰهين من دون اللَّه سبحانه. . . وكل من اتخذ عيسى ابن مريم وأمه إلٰهين من الخلائق، يشهد وقوف عيسى ابن مريم بين يدي اللَّه ويسمع سؤال ربه إليه، فالوقوف والسؤال على مرأى ومسمع من الخلائق جميعاً. . وأخصُّ أولئك الذين كفروا بربهم وأبوا إلا أن يتخذوا عيسى ابن مريم إلٰها أو ابن الإلٰه ولم يسمعوا كلام اللَّه سبحانه، وعصوا واستكبروا وعملوا ما استطاعوا في تقويض دين الإسلام الذي يفند دعواهم ويثبت بالآيات الكريمة والحجج العقلية بطلان ما يقولون. . . فالأمر مهم إذ يتجاوز عدد الذين اتخذوا عيسى ابن مريم إلٰهاً بالمليارات، فإحباط معتقدهم يوم القيامة وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم على مرأى ومسمع من سؤال ربه له وجوابه لربه. . . إنما هو تبكيت لهؤلاء الكفار وتأنيب وحسرات تغمر أفئدتهم وندم يعتصر نفوسهم حتى إنهم ليتمنون في تلك اللحظات العصيبة في معرفة الحق وبطلان كفرهم أن تسوى بهم الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ

عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

[سورة المائدة، الآيات: ١١٦ ـ ١١٨]

يقول عيسى عليه السلام: يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي، يا رب لا يخفى عليك شيء يا رب ما أمرتهم إلا بما أرسلتني به: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، وكنتُ شهيداً عليهم مدة مكثي بينهم وأنا يا رب بريء مما أحدثوا من بعدي والأمر بيدك يا رب فافعل بهم ما تشاء.

فمع عظم مقام عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى أمه السلام عند اللّٰه جل ثناؤه، إلا أنّه أعظم جُرم قومه وقولَهم هذه الكلمة العظيمة من حيث اعتقادهم بأن عيسى ابن اللّٰه، تعالى اللّٰه عما يقولون علواً كبيراً فإن إخلالهم بالتوحيد جعلهم من شفاعته عليه السلام محرومين ومن رحمة اللّٰه تعالى مطرودين.

قال اللّٰه تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ١١٩]

يقول تعالى مجيباً رسوله عيسى عليه السلام: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾ أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين، بما يكون لهم من ثواب في جنان الخلد التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان من اللّٰه أكبر وذلك هو الفوز العظيم.

دعوة الأمم
وسؤالهم مجتمعين أمة أمة

أول السؤال من اللّه سبحانه للخلائق وهم مجتمعون في صعيد واحد لا تخفى على اللّه منهم خافية ـ عن التوحيد وعن شهادة (أن لا إلٰه إلا اللّه) فيناديهم اللّه بنداء يسمعه الخلائق جميعاً بلغة يفهمها جميع الخلق فيسألهم عن الإيمان باللّه وبأنبيائهم المرسلين إليهم.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٦]

وهذا سؤال عام ليس لأمة مخصوصة... أجيبوني ماذا فعلتم بأنبيائكم الذين أرسلتهم إليكم؟ وهل أجبتم دعوتهم؟: «**واللّه سبحانه يعلم ما فعلت تلك الأقوام بأنبيائها**».

والقرآن الكريم بيَّن لنا مواقف تلك الأمم الكافرة مع أنبيائها... فلا يلقى اللّه سبحانه جواباً، لأن الأخبار والأعذار عميت عنهم فهم لا يجيبون، ولا يحتجون، ولا يسأل أحدهم الآخر لعله يلقنه الجواب، بل أغلق عليهم كل باب، وفي داخلهم حسرة تقطّع أوصالهم ندماً على ما فرطوا في جنب اللّه سبحانه، إلا أمة محمد ﷺ أمة التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلا اللّه... وهذا الموقف يشبه إلى حد ما موقف الكافر في قبره عندما يأتيه الملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه...

فأما المؤمن فيثبته اللّه سبحانه بالقول الثابت، ثم يقول: ربي اللّه وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وأما الكافر فيقول كما جاء في الحديث الذي ذكرناه في الجزء الثالث (الموت وعالم البرزخ): هاه هاه لا أدري، ولهذا يأتي الكافر يوم القيامة ولا جواب له حيث يسأل.

وعن هذا الموقف تكلم اللّه سبحانه فقال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٢]

والمراد في الآية الكريمة عمى البصيرة حيث لا يرى الكافر في دنياه دلائل وجود اللّه وقدرته ووحدانيته، حيث عميت قلوبهم عن الحق وأن اللّه حق وأن الآخرة حق.

يقول تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٦]

فمن كان أعمى البصيرة في الدنيا فهو في الآخرة أشد عمى.. لذلك لا تستطيع جميع الأمم (إلا أمة محمد ﷺ) ومن آمن من تلك الأمم أن تجيب ربها على سؤاله لها ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وهذا الموقف من المواطن الرهيبة التي تكون فيها الخلائق بموقف الاعتراف، وما أشد الألم على النفس في مثل هذه المواقف حيث يسلب الناس قدراتهم، وتفقد ألسنتهم القدرة على الكلام والجواب بقدرة قادر وحول عليم كما وعد في كتابه العزيز: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾. قال تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ

﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٧، ٨]

وفي هذه الآية الكريمة تأكيد من اللّه سبحانه (والنون للتوكيد) أنه سيسأل الذين أرسل إليهم أي (الأمم) كما يسأل المرسلين عن رسالاتهم، فاللّه سبحانه سيخبرهم جميعاً يوم القيامة عن مواقفهم، فليس اللّه بغافل عنهم أو كان غائباً، بل شاهداً عليهم يوم يجمعهم ليوم القيامة.. وفي هذا الإخبار من اللّه تعالى عما يجريه من السؤال على تلك الأمم... تنبيه للعباد حتى يستعدوا للجواب، ذلك أن اللّه سبحانه سوف يسأل الأمم عن مواقفها مع رسلها، وهل استجابوا لدعوتهم أم لا؟ وهل أطاعوا الرسل وآمنوا برسالتهم؟ ثم كيف كان حالهم مع رسلهم، وأعظم السؤال وأوله كما قلت عن شهادة التوحيد لأنه لا يعلوها شيء من عمل أو قول أو فعل يوم القيامة، فعلى شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه ترتكز كل الأحداث والأفعال والأعمال يوم القيامة..

عن أنس رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تسألون عن: لا إلٰه إلا اللّه**»[1].

وقال تعالى مقسماً أنه سيسأل الخلق أجمعين عما كانوا يعملون: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

فهذا القسم من اللّه تأكيد آخر وشاهد حق على سؤال الناس أجمعين في هذا الموطن العظيم.

---

(١) رواه الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير، وأخرجه البخاري في تاريخه من وجه آخر عن أنس مرفوعاً.

في خطبته ﷺ ـ وفي خطبة الوداع قال رسول اللّه ﷺ:
« أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم فاعلون؟ » قالوا كلهم: نشهد يا رسول اللَّه أنك بلغت وأديت ونصحت. فقال ﷺ: **« ألا هل بلَّغت، اللَّهم فاشهد »**.

ونقول: إنه لا شك أن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم، وأدوا واجبهم على أكمل الوجوه، ونصحوا الأمة أفضل نصح، واللَّه سبحانه يعلم ذلك كله.. وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا في قصص القرآن الكريم حالة الأقوام مع رسلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم تبع وقوم فرعون...

ولكن... في هذا السؤال عدلٌ مطلق من اللَّه سبحانه، ثم الإتيان بالجواب فيما بعد عند المحاجة والتخاصم والشهادة ثم إقامة الحجة على المنكرين والمكذبين للمرسلين، وإعلانٌ للملأ الكبير هناك أنه لا عذر لمعتذر، ولا حجة لمنكر، لأن الرسالات السماوية بلَّغها الرسل وأقاموا الحجج والبراهين على حقيقتها وصدقها.

وفي هذا الموطن موطن السؤال وتقرير الأمم مجتمعة ـ تشهد الرسل أنهم قد بلّغوا أممهم البلاغ الحق كما أمر سبحانه، وما تهاونوا وما استكانوا في دعوتهم لتوحيد اللَّه سبحانه والعمل الصالح وتنبيههم وإنذارهم إلى أنهم مجموعون ليوم القيامة لا ريب فيه...

شهادة اللَّه سبحانه على الأمم أعظم الشهادات

اللَّه سبحانه ليس بحاجة إلى شهادة أُمّة أو فرد يوم القيامة فهو العليم الذي لا تخفى عليه خافية لا في السماء ولا في الأرض.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

فالذي لا يخفى عليهِ مثقال ذرة، أيخفى عليه ما فعلته تلك الأقوام برسلهم جماعات وأفراداً وهو الذي يعلم ما توسوس به النفس؟

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٦]

ولكن اللَّه سبحانه وهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين يظهر حقيقة كمال عدله بالشهود حتى لا تكون لنفس حجة يوم القيامة... ومن قبل شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم، فقد جعل اللَّه الشهداء كثيرين على الأمم وعلى الأفراد، فاللَّه سبحانه شاهد، والملائكة شهود، والصحف شهود، والأعضاء شهود، والمكان والزمان شاهدان

أيضاً. . فقد تعددت الشهادات يوم القيامة لبيان عدل الله في حكمه

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ١٧]

ويقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾.

[سورة الفتح، الآية: ٢٨]

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٤٣]

ويقول أيضاً: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

هذه الآيات الكريمة تثبت أن الله سبحانه هو الشهيد على خلقه وهو الحَكَم عليهم، ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر فهو الشاهد، والحكم بين الفرقاء والخصماء، والأمم والأفراد، ونعم بالله حكماً وشهيداً، الذي لا تظلم عنده نفس شيئاً ولو مثقالَ حبة من خردل.

الشهادة يوم القيامة وإكرام أمة محمد ﷺ بشهادتهم على جميع الأمم

إكراماً لهذه الأمة المحمدية، جعلها اللّه سبحانه شهوداً على الأقوام جميعاً مع أنها آخر الأمم، وما ذلك إلا لأن اللّه سبحانه يعلم صحة إيمان هذه الأمة وأنهم لم يحرفوا كتاب اللّه القرآن الكريم فهو كما نزل باق إلى يوم القيامة. . واللّه سبحانه ذكر فيه قصص الأنبياء والأقوام الذين أُرسل إليهم بالتفصيل، وموقف كل أمة مع رسولهم. . وصدق اللّه ومن أصدق من اللّه حديثاً، فإذا شهدت أمة محمد ﷺ وأخبرته بما فعلوا فهذا قوله الحق، في كتابه الحق، فكيف لا يكون حقاً وتكون شهادتهم عند ربهم مقبولة لا باطل فيها، وهم يشهدون بما أخبرهم سبحانه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

وسطاً: عدلاً أي أمة عدولاً. تعدلون في شهادتكم ولا يأخذكم الباطل فيها، وقبول اللّه سبحانه شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم إكرام لها، ذلك أن رسول اللّه ﷺ شهد لأمته باتّباعه، وأنها كانت أمة عدلاً

مؤمنة وصادقة، ولقد أكَّد رسول اللّه ﷺ شهادة أمته على باقي الأمم يوم القيامة وأنه سيكون عليهم شهيداً. . . فأي تكريم وتعظيم لهذا النبي فهو حامل لواء الحق والشفاعة والشاهد على الأمم وعلى أمته وصاحب المقام المحمود.

ـ عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، قال: فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته».

وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[رواه أحمد (٣/ ٣٢) والبخاري ٤٤٨٧ والترمذي ٢٩٦١والنسائي]

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فيجاء بكم فتشهدون»، ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[رواه البخاري]

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلَّغوا فذلك قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: يقول: عدولاً ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

[رواه أحمد وصحّحه الألباني]

ـ عن حبان بن أبي جبلة، بسنده إلى النبي ﷺ:

« إذا جمع اللَّه عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلَّغت عهدي؟ فيقول: نعم يا رب، قد بلَّغته جبريل، فيقال له: هل بلّغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلَّغت الرسل فيُدْعون، فيقول لهم: هل بلّغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيُخلى عن جبريل.

ويقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلّغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلّغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب، ومنهم المصدق، فيقول الرسل: إن لنا شهوداً يشهدون أن قد بلَّغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ، فيقال لهم: أتشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلَّغوا عهدي إلىٰ من أرسلوا إليهم؟ فيقولون: نعم، ربنا شهدنا أن قد بلّغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب تعالى: كيف تشهدون علىٰ من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا، بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك، وكتابك، وقضيت علينا أنهم قد بلَّغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ » [(١)].

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ١٥٩٨ وابن جرير في تفسيره ٢/ ١٠، والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٥١.

ومن تعظيم اللَّه سبحانه لهذه الأمة المحمدية أن يجعلها عند شهادتها تقف علىٰ كوم مرتفع تشرف فيه علىٰ الخلائق عند شهادتها ليسمعها جميع الخلائق، وليعلموا من هي هذه الأمة التي أعزَّها اللَّه سبحانه في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة.

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، وما من أحد من الناس إلا ودّ أنه منّا، وما من نبي كذّبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلَّغ رسالة ربه عزّ وجلّ** ».

[رواه ابن أبي حاتِم وابن مردويه.. انظر تفسير ابن كثير]

حقاً إن هذا المنصب لشريف ورفيع في يوم تجثو الأمم على ركبها تنتظر أمر ربها، وهذا ما سأله المؤمنون ربهم كما في كتاب اللَّه تعالى.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٨٣]

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما في هذه الآية: أي اكتبنا مع محمد ﷺ وهم الشاهدون الذين يشهدون لنبيهم أنه قد بلّغ، ويشهدون للرسل أنهم قد بلّغوا.

[رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه.. انظر تفسير ابن كثير]

والشهادة ذات مدلول قوي وفاعل لذلك نجد في القرآن الكريم بياناً في كثير من الآيات الكريمة، فإذا كانت تخص المؤمنين على العموم (أمة محمد ﷺ) كذلك تخص المؤمنين الذين آمنوا مع رسلهم واستجابوا لدعوة اللَّه سبحانه..وقد ضرب اللَّه سبحانه لنا مثلاً في

ذلك حواريّ عيسى ابن مريم عليه السلام الذين سألوا اللّه سبحانه أن يكتبهم مع الشاهدين.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ٥٢، ٥٣]

فكل المؤمنين الذين آمنوا باللّه وبرسلهم وصدقوهم وتبعوهم هم من الشهداء يوم القيامة، ويعزّهم اللّه سبحانه كما يعزّ أمة محمد، وما كان اللّه ليضيع إيمانهم جميعاً.

شهادة الرسل على أقوامهم وأممهم

وهي الشهادة العظمى والكبرى، والرسل أولى بالشهادة الحق على أممهم، فالله سبحانه هو الذي ارتضاهم واختارهم وخصهم وجعلهم مرسلين بين الله وخلقه أجمعين، فهم أولى بالشهادة وأصدق بها من جميع خلقه... وقد بيَّن الله سبحانه واقع تلك الشهادات في كتابه الكريم.

يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ٤١، ٤٢]

إن من أعظم المواقف أن يشهد على فعلك السيئ والمنكر شاهد يدينك أمام القضاء وأمام الناس.. فكيف إذا كانت الشهادة أمام الله سبحانه، وأمام مليارات من الخلق وكلهم يسمعون هذه الشهادة التي تدين الأمم الكافرة بكفرهم وشركهم وضلالهم... هؤلاء يتمنون أن يتحولوا إلى تراب الأرض وأن يُمحقوا أو تسوّى بهم الأرض فيختلطوا معها، ولا يقفون هذا الموقف الذي يدينهم بكفرهم أمام هذا الإله العظيم، الذي يستشعرون عظمته وقوته وقدرته بهذا الموقف.

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا

بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

هذه الشهادة عدل مطلق من اللَّه، إذ يبعث في كل أمة شهيداً من أنفسهم ليكون حجة قاطعة عليهم، فكل نبي أعلم بقومه وما فعلوه معه ومع رسالة ربه، فأقوى الشهادات شهادة صاحب البيت على أهله، وزيادة في قوة الشهادة جعل شهادته أربع شهادات في الدنيا فما بالك في الآخرة؟

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٨٤]

فلا يؤذن لهم، أي للكافرين في اعتذار، ولا حجة، ولا يقبل اعتذارهم بل هم أذلاء، شاخصة أبصارهم يدعون على أنفسهم بالويل والثبور.

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

(« **اقرأ عليَّ القرآن** » قلت: يا رسول اللَّه، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: « **نعم، فإني أحب أن أسمعه من غيري** » قال ابن مسعود: فقرأت سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ ـ الآيةَ. . .

فقال ﷺ: « **حسبك الآن** » فإذا عيناه تذرفان. . . أي تدمعان)[1] .

قال العلامة النسفي في تفسير هذا الحديث الشريف: أي شاهداً على من آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر، وعلى من نافق بالنفاق.

---

(١) رواه البخاري والترمذي.

دعوة الشركاء الذين زعم الكافرون أنهم شركاء للّه سبحانه وتعالى عما يشركون

لقد كان الجدال قوياً في الحياة الدنيا بين الأنبياء وأقوامهم، حيث إنهم كانوا يدّعون أن للّه شريكاً أو شركاء أو أبناء، سبحانه وتعالى عما يشركون أو أن آلهتهم التي يعبدونها هي الإله ولا إله سواها... وكان الجدل بين الأنبياء والأقوام المشركة يصل درجة العقم فلا تنفع معهم هداية، ولا إرشاد، ولا نصح، ولا بيان عقلي، والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً في القرآن الكريم حول الشرك والشركاء والكفر والكافرين.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

[سورة التوبة، الآيتان: ٣٠، ٣١]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦]

ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ١٠٠]

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي بيَّن اللَّه سبحانه فيها كفر وشرك الكافرين والمشركين، فإذا جاء وعد الآخرة واجتمع الناس أمماً أمماً، جاثية على ركبها زيادة في الذل والمهانة، نادى اللَّه سبحانه المشركين والكافرين أن يدعوا، في هذا الحشد العظيم الذين كانوا يعبدونهم ويشركون بهم ويتخذونهم أنداداً للَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

عندما يرى الذين أشركوا عذاب اللَّه يوم القيامة ببصائرهم التي أعموها في الدنيا عن رؤية الحق. . . يناديهم ربهم: أن هاتوا شركاءكم الذين زعمتم، يقول تعالى موضحاً ما سيكون يوم القيامة، وكيف يدعوهم ليدعوا شركاءهم الذين عبدوهم في الدنيا وفضّلوهم على اللَّه سبحانه. . كي ينقذوهم مما هم فيه من العذاب والهوان.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ

وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

وفي هذه الآيات الكريمة يتبرأ الذين اتخذهم المشركون آلهة من دون اللَّه، ويقسمون ويشهدون اللَّه سبحانه أنهم كانوا عن عبادة هؤلاء المشركين لغافلين.. ذلك أن المشركين كانوا يعبدون ما يرثون عن آبائهم دون أدنى تفكير أو مراجعة.. وكل نبي إذا ما خاطبهم كانوا يقولون: إنا وجدنا آباءنا على ذلك، ونحن لِما كان يعبد آباؤنا عابدون، بل كانوا يهددون أنبياءهم بالقتل إذا حاولوا منعهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم.. ذلك أن المعبود الذي كانوا يعبدونه من دون اللَّه من التماثيل والأصنام لها أصل وجدوى في الحياة الدنيا وكانوا رجالاً صالحين، يقول ابن كثير وابن جرير في تفسير سورة نوح:

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾.

[سورة نوح، الآية: ٢٣]

ويقول ابن جرير عن محمد بن قيس: (ويغوث ويعوق ونَسراً) قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق إلى العبادة فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم... فهؤلاء يتبرؤون من عبادة هؤلاء المشركين لهم، فهم صالحون في أنفسهم، وغافلون عما حدث بعدهم واللَّه أعلم بذلك.

. . . ثم يأمرهم الله سبحانه أن يدعوا آلهتهم مراراً زيادة في الحسرة والألم والندم.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾.

[سورة القصص، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

فاقرأ آخر الآيات ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾. ما أعظم الله وما أرحمه بعباده فالله لا يريد لعباده إلا الخير والهداية. . . هؤلاء الذين أشركوا وعاندوا وماتوا على شركهم يقول عنهم الله سبحانه: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾. لما نالهم من العذاب ما نالهم ولا كانوا في نار جهنم خالدين، ولكنهم اختاروا بحريتهم وإرادتهم الكفر والشرك على الإيمان، وهكذا في كل موقف يزداد المشركون والكافرون والمنافقون والضالون عذاباً وألماً وحسرة تقطع أفئدتهم وتعصر نفوسهم وتهتك مهجهم.

براءة الملائكة من تُهَمَةِ التأليهِ من الأقوام المشركة والكافرة

لقد ادعى الكفار والمشركون في الدنيا أن الملائكة إناثٌ، وليسوا ذكوراً، وتوعدهم اللَّه سبحانه أن شهادتهم هذه على الملائكة بأنهم إناثٌ ستكتب، ويسألون عنها يوم القيامة، ولقد اعتبر اللَّه سبحانه هذه الشهادة علىٰ الملائكة بأنهم إناثٌ أمراً عظيماً لأنهم يقولون على اللَّه ما لا يعلمون.

يقول تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ١٩]

ويقول سبحانه: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ١٤٩ ـ ١٥٣]

ويظهر إفك الذين ادعوا أن اللَّه سبحانه جعل الملائكة إناثاً، يومَ

يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للكافرين والمشركين، فيتبيَّن لهم كذب ما ادعوا على اللّه ظلماً وعدواناً، وأما عن تبرئة الملائكة حيث عبدهم الكافرون والمشركون من دون اللّه سبحانه، حيث يبرئهم اللّه سبحانه علىٰ مرأى ومسمع من الخلائق جميعاً، إن الملائكة لا ذنب لهم فيما اتخذه الكافرون في الدنيا، فتتبرأ الملائكة من المشركين ويبرئهم اللّه سبحانه من هذه التهم الإنسانية لهم. . ذلك أن من الملائكة من كانوا رسلاً بين اللّه سبحانه وبين عباده، وهناك الملائكة الذين خصهم سبحانه بالنزول إلى الأرض، حيث إن مع كل مخلوق في الدنيا ملكين عن اليمين وعن الشمال قعيد، فالملائكة لها اختلاط مع البشر في الأرض. . . وحتى ينالوا البراءة من اللّه سبحانه فلا بد أن يكون هذا على مشهد من الخلق أجمعين.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

[سورة سبأ، الآيات: ٤٠ ـ ٤٢]

ولقد اتهم هؤلاء الكفار في الدنيا ربهم أنه لو شاء ما عبدوا الملائكة فهي إرادته، والعياذ باللّه من هذا القول العظيم.

يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ١٩، ٢٠]

وفي تفسير ابن كثير عن الآيتين في سورة سبأ يقول:

إن اللّه سبحانه يقرِّع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق

فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى اللّه زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾... وهكذا تقول الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ﴾.

أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إلٰه: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾: أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾.

يلعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم، ويقول في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادّخرتم عبادتها لشدائدكم وكروبكم، فاليوم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً... وهكذا نجد أن الكافرين ينقلون من مرحلة إلى مرحلة ومن تقرير إلى تقرير، وهم يزدادون همًّا على همّ وألماً على ألم، وحسرة على حسرة، فلا شيء ينْصرهم، ولا حليف يدفع بنصرهم عنهم، ولا معتقداً اعتقدوه في الأرض كان سنداً لهم أو حجة لهم.

الاختصام يوم القيامة بين الجماعات والأمم في الكفر والحقوق

وهذا موقف آخر من مواقف العدل الإلٰهي المطلق.. فالحساب الفردي لا يبدأ حتى تأخذ الجماعات والأمم حقوقها ممن ظلمها، ويحكم اللَّه سبحانه بينهم فيما اختلفوا فيه، وفيما سلبه بعضهم من بعض بغير حق، حتى لو كان السالب بغير حق من أمة محمد ﷺ والظالم بغير حق من أمة محمد ﷺ، ولا يدخل الجنة أحد ولا النار أحد حتى يأخذ كل ذي حق حقه أمماً وجماعاتٍ وأفراداً... فكم من شعوبٍ اعتدت على غيرها وسلبتها أرضها ومالها؟ وكم من الأمم خاضت حروباً ظالمة راح ضحيتها ملايين القتلى ظلماً وعدواناً؟... والحاكم يومئذ أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، حيث لا تظلم عنده أمة ولا جماعة ولا فرد، ميزانه الحق، وحكمه الحق، وقوله الحق، ألم يقل اللَّه في محكم كتابه في أكثر من آية، إنه الحكم العدل فيما كانوا فيه يختلفون كجماعات وأمم وأفرادٍ.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

إذاً هناك حكم عام بين الأمم المتخاصمة والتي أصرت كل واحدة منها على موقفها سواء أكان باطلاً أم حقاً.. هنا يحكم اللّٰه سبحانه بين تلك الأمم التي أمضت وقتاً طويلاً في نزاعها واختلافها والتي ربما أدت إلى وقوع حروب ظالمة أو عادلة قتل فيها ظلماً العشرات والمئات والآلاف والملايين.. فلا بد أن يقتص اللّٰه سبحانه من الأمم الظالمة ويأخذ حق الأمم المظلومة مهما كان انتماؤها العَقَدي، ثم تحاسب كل أمة بعد ذلك على الكفر والشرك والعصيان والطغيان أو الإيمان... كذلك يكون العدل بين المتنازعين والمختلفين حتى لو كانوا على الإيمان والإسلام، فهذا لا ينفي ظلم بعض الفئات أو اعتداء بعض الفئات المؤمنة على فئات مؤمنة أخرى، تكون بينهما مقتلة عظيمة، والتاريخ مليء بمثل هذه الحوادث التي راح ضحيتها آلاف المسلمين وكل فئة تدعي أنها كانت على حق.

يقول تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ٩]

واللّٰه سبحانه يعلم أنه ستكون فُرقة واختلاف وعصيان وحرب وقتل وسفك بين المسلمين.. ولكن هذا كله سيكون يوم القيامة في ميزان العدل الإلٰهي الذي لا يظلم عنده أحد، ولو كان مقدار مثقال ذرة، وفي القرآن الكريم شواهدُ على تلك المواقف بين الأمم والجماعات.. إذ يَعِدُ اللّٰه سبحانه بحسابهم جميعاً، أَخَّرَ عليهم الحساب والحكم في الدنيا إلى يوم القيامة لكلمة سبقت من ربك لهذا

التأجيل ولولا هذه الكلمة التي سبقت لحكم اللّه سبحانه بين المتخاصمين في الدنيا وقضى بينهم.

يقول تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٥]

وهذه الآية بلغة الجمع والحساب سيكون جمعاً أي يسمى كل الأحزاب المختلفون ظالمين بل ويل للذين ظلموا منهم على ظلمهم واعتدائهم.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ويقول تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤١]

ويقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٨٧]

ويقول أيضاً:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ٥٦، ٥٧]

ثم يقع الخصام بين تلك الأمم والجماعات والقبيلة من القوم والفئات من الناس حتى يكون الخصام بين اثنين فقط. . . وهذا هو الحق، أن يبدأ اللَّه سبحانه بحساب الأمم ليقضي للظالم فيها من المظلوم، ويأخذ كل مظلوم من الأمة الظالمة حقه ثم يتدرج الحساب إلى الفئات الأصغر حتى ينتهي ما يكون بين اثنين من خصام وجدال وظلم في الدنيا، فيأخذ اللَّه سبحانه للفرد المظلوم من الفرد الظالم حقه ولو كان مقدار حبة من خردل.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآيتان ٣١، ٣٢]

يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة: يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر، ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: أي إنكم ستنتقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند اللَّه تعالى في الدار الآخرة، تختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي اللَّه عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين، ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعيْن في الدنيا حيث تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة.

ومن صور الاختصام والمجادلة يوم القيامة بين العباد الظالم

والمظلوم والمؤمن والكافر.. وبمن كانوا تبعاً لأسيادهم في الكفر والشرك، فتتسع المجادلة العنيفة بينهم: إنه لولا أنتم أيها الأسياد الذين أجبرتمونا على الكفر ما كنَّا كافرين، فيرد عليهم أسيادهم: بل أنتم مجرمون، كفرتم بحريتكم ورأيكم.. وهكذا يسمح اللّه سبحانه بالاختصام والمجادلة ليعلموا أخيراً أن اللّه سبحانه ليس بظلام للعبيد.. وكلهم يستغيث باللّه أن يحكم بينهم عندما يزداد الاختصام والجدل وكل يتهم الآخرَ بالظلم والاعتداء.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة سبأ، الآيات: ٣١ ـ ٣٣]

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١٦٥ ـ ١٦٧]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وهكذا نجد أن اللّٰه سبحانه وفي محكمته العادلة يسمح للخصوم بالمرافعة والمجادلة والقول بما لديهم.. فاللّٰه سبحانه يسمع اختصامهم، وبيان كل مختصم حجته، ولكن اللّٰه سبحانه والذي لا تخفى عليه خافية أعلم بالظالم وأعلم بالمظلوم.. فإذا ما أنهى المتخاصمون خصامهم يكون الحكم للّٰه بعدها، ويبيّن للظالم ظلمه ويبيّن ما يخفيه من الحق، ولا بد في هذا الموقف أن يعترف الظالم بظلمه إذ لا سبيل له في نهاية الاختصام إلا بالاعتراف بظلمه واعتدائه، لأنه يعلم رغم دفاعه عن نفسه بالباطل أن اللّٰه سبحانه لا يمكن أن ينصره على باطله، وأن اللّٰه سبحانه لا ينتصر إلا للحق... ولكن الظالم والكافر يحاول ما يستطيع أن يدافع عن نفسه علّه أن يخلص مما ينتظره من عذاب أليم مرير مهين.

وفي السنة الشريفة بيان من رسول اللّٰه ﷺ لمثل هذه المواقف من الاختصام بين الخلائق أمماً وجماعاتٍ وأفراداً.

عن عبد اللّٰه بن الزبير عن أبيه الزبير رضي اللّٰه عنهما قال: (لما نزلت هذه السورة على رسول اللّٰه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾. قال الزبير رضي اللّٰه عنه: أي رسول اللّٰه، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواطر الذنوب؟ فقال ﷺ: «**نعم ليكررن عليكم حتى يؤدَّىٰ إلى كل ذي حق حقه**» قال الزبير: واللّٰه إن الأمر لشديد).

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

وروى الإمام أحمد من حديث عبد اللّه بن محمد بن عقيل، عن جابر ابن عبد اللّه: أنه اشترى راحلة، وسار إلى عبد اللّه بن أُنيس شهراً ليسمع منه حديثاً بلغه عنه، فلما سأله عنه، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«**يحشر الناس يوم القيامة، أو قال: العباد عراة غرلاً بُهماً**» قلنا: وما بُهْماً؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: وكيف وإنّا إنما نأتي اللّه بُهْماً؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ في الحديث الإلٰهي الطويل:

«**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه**»(٢)

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٣]

ومن دلائل عدل اللّه المطلق حديثُ رسولِ اللّه ﷺ، عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه يختصم حتى الشاتان فيم انتطحتا؟**».

[رواه الإمام أحمد في المسند]

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٦): رواه أحمد ورجاله وثقوا ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وعن أبي ذر رضي اللّه عنه أنه قال: رأى رسول اللّه ﷺ شاتين تنتطحان فقال: «**أتدري فيم انتطحتا يا أبا ذر؟**» قلت: لا، فقال ﷺ: «**لكن اللّه يدري وسيحكم بينهما**».

إن دقة الحكم والعدل الإلٰهي أنه سيحكم بين الشاتين أو الوحشين أو الطيرين فيم اختصما ومن الذي اعتدى على الآخر. . . هذا لا يمكن أن يكون إلا من اللّه سبحانه. . وهذه شهادة من رسول اللّه ﷺ أن اللّه سبحانه يعقد محكمته ويحاكم ما قل وما كثر وما كبر وما صغر، حتى لو كان قدر مثقال حبة من خردل، ليدرك الظالمون أنه سبحانه حكم عليهم بالحق بعد أن يروا كيف يحكم بين الأنعام ويأخذ حق الضعيفة من القوية التي اعتدت عليها وما ذلك إلا لإظهار العدل المطلق أمام الخلائق جميعاً، وليحمد اللّه المؤمنون على عدله سبحانه وأنه لا تضيع عنده مثاقيل الذر من الخير، وليزداد الكافرون شقاء وحزناً حيث يتمنون أنفسهم أنعاماً ووحوشاً قضى بينهم ربهم بالعدل ثم حولهم إلىٰ تراب. . يتمنون أنفسهم تراباً. . . وقد سألهم اللّه سبحانه في الدنيا الإيمان ليعيشوا معززين مكرمين في جنات اللّه الخالدة. وكل ما قدمت من مواقف الاختصام إنما هي قبل محاسبة اللّه سبحانه الأفراد، فتلك محاسبة الأمم واقتصاص اللّه سبحانه الحقوق لتلك الأمم بعضها من بعض كما وعد في كتابه العزيز: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

وحتى عندما يبدأ اللّه سبحانه بمحاسبة عباده فرداً فرداً. فإن أول حساب هو القصاص ما بين الأفراد، فلا بد لكل فرد أن يأخذ حقه ممن ظلمه أو اعتدى عليه أو تكلم عنه، أو أكل ماله، أو شتمه،

أو ضربه، أو أذله، أو أهانه، إلى مئات الحقوق التي تكون بين العباد، وسيأتي هذا التفصيل في فِقرات قادمة إن شاء اللّه، لأن اللّه سبحانه ومن كمال عدله لا يحاسب الفرد على أعماله قبل أن ينظر فيما له من حقوق وما عليه من حقوق، فإذا ما اقتص اللّه سبحانه للعباد بعضهم من بعض حتى اللطمة والكلمة.. يقف العبد بين يديه منفرداً يحاسبه على أعماله وطاعته وعبادته وإيمانه وما فعل بجسده وماله وحياته وشبابه وهرمه ورعيته من الأولاد والزوجة، وبخله وكرمه وصدقاته إلى مئات الأعمال الصغيرة والكبيرة.

الاختصام بين الإنس والجن ومحاسبة الجن والشياطين

لقد تحدث اللَّه سبحانه عن عالم الجن والشياطين في كتابه الكريم وفي عشرات الآيات القرآنية الكريمة. . . إذ كانت الشياطين مادة امتحانية للبشر وبلاء عظيماً، والدخول في عالم الجن والشياطين يستوجب بحثاً مفصلاً يطول به المقام جداً[١].

ولكن ما يهمنا من أمر الجن والشياطين وعلاقتهما بالإنس في هذا الجزء من الموسوعة. . . أن اللَّه سبحانه بيَّن ومن فضل رحمته على العباد ماهية الجن وخلقهم وقدراتهم، وأنهم عالم قائم بذاته كما أن الإنس عالَم قائم بذاته، خلقوا من نار، منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وهم الشياطين وأنهم يأكلون، ويشربون، ويتزوجون، مثل الإنس، وكذلك يتناسلون.

ولقد حذَّرنا اللَّه سبحانه وتعالى في عشرات الآيات القرآنية الكريمة من الشياطين وأنهم عدو للبشر على هذه الأرض، ونبَّهنا ألا نتخذهم أولياء، بل نتخذهم أعداء وأن لا نسمع لهم ولا لوسوستهم ولا لإغوائهم لأنه ليس منهم إلا الشر، ولا يدُلُّون إلا على طريق الشر ولا يدعون إلا إلى الكفر وإلى النار ومعصية اللَّه سبحانه، ولقد بدأت قصتهم منذ خلق اللَّه سبحانه آدم وأمر الملائكة أن تسجد لآدم وكان

(١) راجع كتابي: ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

إبليس يقف مع الملائكة فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر عن السجود، وقال لربه: كيف أسجد لمن خلقت طيناً وأنا خير منه؟ فعصى إبليس ربه واستكبر على أمر ربه.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٤٣]

هذه هي البداية، ووقع عصيان إبليس ووعد أنه سيغوي عباد اللّه في الأرض حتى لا يعبدوا اللّه سبحانه، ويتخذوا غيره إلٰها من حجر وأصنام وبشر أو يتخذوا الشياطين أرباباً.

.. وهوى كثير من الناس، ووقعوا تحت غواية الشياطين فاستمتعوا ببعضهم، وعبد بعض الإنس الشياطين ووقعوا في الكفر، ووقعوا في المحظور، مع أن اللّه سبحانه نبّههم إلى هذا الأمر الخطير وألا يقعوا تحت أي سبب تحت غواية الشياطين... فإذا جاؤوا جميعاً يوم القيامة واللّه اعلم بالإنس والجن.. وما كان بينهم ومن هوى من الإنس في الكفر والشرك والاستعانة بالشياطين.

يقول تعالى محذراً عباده من الشياطين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى

ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٦]

وقد بيَّن اللَّه سبحانه أن الشيطان لربه كفور، لذلك لا يأمر من اتبعه إلا بالكفر باللَّه.

يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٢٧]

وكذلك بيَّن اللَّه سبحانه لعباده أن الشيطان وأعوانه يزينون لهم العمل ليتبعوهم ويحذرهم من ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ .

[سورة الأنفال، الآية: ٤٨]

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٦٤]

وقد دلَّنا اللَّه سبحانه إلى أن أقواماً من الكافرين ستتخذ الشياطين أولياء من دون اللَّه سبحانه: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٠]

ثم يوضح اللَّه سبحانه خسارة أولئك الذين يتخذون الشياطين أولياء من دون اللَّه.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٩]

ويقول أيضاً: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ * كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[سورة المجادلة: الآيتان: ١٨، ١٩]

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٣٦]

ولقد حكم اللَّه سبحانه على الشياطين بالكفر، وعلى من اتبعهم بالكفر لذلك يجتمعون عند اللَّه يوم القيامة: الشياطين من الجن والكفرة من الإنس (شياطين الإنس) ثم يحكم اللَّه بهم إلى النار، فالجن يحشرون كما يُحشر الناس، ويحاسبون كما يُحاسب الناس، ويدخل شياطينهم النار ويدخل المؤمن من عالم الجن الجنة، والعلم عند اللَّه سبحانه فإذا ما كان الحشر يوم القيامة وبعد أن يأذن اللَّه بفصل القضاء في يوم يمتد إلى خمسين ألف سنة... فتعرض الخلائق جميعاً على اللَّه سبحانه الإنس والجن والوحش والطير... ويجمع اللَّه بيّن كفرة الجن (الشياطين) وكفرة الإنس شياطين الإنس ويعنفهم.

... يقول اللَّه سبحانه يوم القيامة للإنس الذين اتبعوا الشياطين واتخذوهم أولياء من دون اللَّه سبحانه وعبدوهم واتخذوهم أرباباً من دون اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٦٠ ـ ٦٣]

عند هذا الموقف تحاول الشياطين أن تتبرأ من الإنس الذين اتبعوهم بعد أن يروا ما يرون يوم القيامة فقد انتهت المهلة التي أعطاها اللَّه سبحانه لإبليس في الدنيا. . . ويوم الحشر يدرك الشيطان خذلانه وأنه واقع في نار جهنم لا محالة فيحاول أن يتبرأ. . دفاعاً عن النفس.

تصوَّر. . أن الشياطين تحاول أن تدافع عن نفسها، وتتبرأ من كل الإنس الذين كانوا لهم في الدنيا تبعاً ويزعمون أمام اللَّه سبحانه أنهم لم يضلوهم بل كانوا هم الضالين. . . وهذا دفاع كل أهل الشرك والكفر أمام اللَّه سبحانه دفاع الباطل. . واللَّه أعلم بدفاعهم وكذبهم ونفاقهم.

يقول تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ * وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٢١، ٢٢]

ولقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا كيف أن الجن (الشياطين) قد حكم عليهم بالخسران وبالدخول إلى النار، بعد حسابهم كما يُحاسب الإنس ويدخلون أمماً في النار مع الإنس حيث يتساقط الكفرة أمماً أمماً في النار.

يقول تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٢٥]

والله سبحانه وتعالى يعاتب ويعنف تعنيفاً شديداً أولئك الجن (الشياطين) حيث أتتهم رسل ينذرونهم لقاء يومهم هذا (يوم القيامة مع ربهم) حتى ينتهوا عن الكفر والشرك وإضلال الخلائق.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا * يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٩ ـ ١٣٠]

ويقول تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ * قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

ويقول تعالى موضحاً خلود الكافرين من الجن والشياطين في النار مثلما يخلد كفار الإنس ومشركيهم: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ *

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

[سورة الحشر، الآيتان: ١٦، ١٧]

وبيَّن سبحانه على لسان الجن أن منهم الصالحين، ومنهم المسلمين ومنهم دون ذلك، وهذا بيان واضح من اللَّه سبحانه على صلاح بعضهم ودخولهم الجنة وفساد بعضهم الآخر ودخولهم النار.

يقول تعالى في سورة الجن.. على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾.

[سورة الجن، الآيات: ١١ ـ ١٥]

وأما الشياطين فلا صالح بينهم، بل جميعهم كفار ومشركون، ولقد توعدهم اللَّه سبحانه بالحضور حول جهنم جثياً ثم الدخول فيها أبد الآبدين مع من كانوا تبعاً لهم من أهل الدنيا من البشر.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

ويقول تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١١٩]

ويقول سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ

جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٧ ـ ٧٠]

وهكذا فقد بيَّن لنا القرآن الكريم محاسبة الجن وعقابهم ودخولهم جهنم أو الجنة، أما الشياطين فليس لهم إلا جهنم كما بيَّنَّا من الآيات الكريمة...

القصاص من الوحوش والأنعام ومحاسبتها وتحويلها تراباً

. . . لقد قدّمنا أثناء الحديث عن الحشر أن اللّه سبحانه يحشر الوحوش والأنعام والطير بجميع أنواعها يوم القيامة أو قل جميع البهائم التي خلقها اللّه سبحانه في الأرض، فحشر البهائم ثابت في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وأما في القرآن الكريم فدليله من سورة التكوير، إذ يتحدث اللّه سبحانه في أول السورة عن الأحداث التي تكون عند قيام الساعة من انكدار للنجوم وتكوير للشمس وتسيير للجبال وتسجير للبحار. . ثم يتحدث عن حشره للوحوش يوم القيامة لمحاسبتها واقتصاص بعضها من بعض.

بقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

وأما دليل حشر البهائم (الوحوش) من السنة الشريفة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ:

« **يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجلحاء من القرناء وحتى الذرة من الذرة**»[١] .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ:

« **ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة، حتى الشاتان فيما انتطحتا**»[٢] .

عن أبي ذر رضي اللّه عنه أنه قال: رأى رسول اللّهﷺ شاتين، وفي تفسير ابن جرير رواية أخرجها عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ:

« **إن اللّه يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم: كوني تراباً فعند ذلك يقول الكافر:** ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ » .

وعن ابن جرير أيضاً. . . عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: « **إذا كان يوم القيامة مُدَّ الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، قال: فعند ذلك يقول الكافر:** ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ » .

لا شك أن أمر حشر البهائم بأعدادها الهائلة والتي قد تبلغ أضعاف أضعاف الإنس والجن، لأمرٌ عظيم يستدعي الوقوف ساعات للتفكير بهذا الحديث. .

فلقد أشكل على أهل العلم تفسير أحاديث رسول اللّهﷺ في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

الاقتصاص من البهائم، ولقد بيَّن هذا **النووي** في شرحه على صحيح مسلم فقال:

« هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال اللَّه تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره.. عقلٌ ولا شرع، وجب حمله علىٰ ظاهره فقد قال العلماء والقول للنووي: ليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب... وأما القصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة (والجلحاء) بالمد هي الشاة التي لا قرن لها واللَّه أعلم ».

وقال **الشيخ علي القاري** في المرقاة: « **وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين المكلفين كافة، فإنه إذا كانت هذه حالَ الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف؟** »[1].

... **وأما حجة الإسلام الإمام الغزالي** فقد قال: إنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفاً ولا أهلاً لكرامة بوجه، وليس في هذا الكتاب نص من كتاب أو سنة يُعَوَّلُ عليهما يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحاً لكنه يخرج مخرج التفسير للآية الكريمة، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام.. وهذا رأي فالحق نقول بحشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الحق والصواب كما ورد في الآية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ،

---

(١) المرقاة (٤ / ٧٦١).

وهذا ما ذهب إليه الجمهور وذكره **الآلوسي** في تفسيره[١] وبه جزم **الشوكاني** في تفسير آية التكوير[٢].

وأرى أن المراد من حشر البهائم بيان لعدل الله سبحانه المطلق وزيادة في ذل ومهانة الكافرين، حيث يتمنون أن يكونوا مثل هذه البهائم تحاسب ويقضى بينها، ولا تعذب، ولا تذل، ولا تهان إذ يحولها سبحانه إلى تراب، كونها غير عاقلة وغير مكلفة بالتكاليف التي كلّف بها الإنس والجن، لأن الله سبحانه وصف الكافرين في كتابه بالأنعام بل اعتبرهم أضل سبيلاً، أي إن الأنعام وإن كانت غير عاقلة إلا أنها أمم تُسبح ربها كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فالبهائم في الدنيا تسبح الله سبحانه، والكافرون يستكبرون فلا يسبحون، لذا وصفهم الله سبحانه بأنهم أضل من الأنعام سبيلاً لفقدهم مِيزة التسبيح والتوحيد، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

---

(١) تفسير الآلوسي (٩/ ٢٨١).
(٢) فتح القدير (٥/ ٣٧٧) الشوكاني.

عند حشر الوحوش والاقتصاص منها سيدرك الكافرون أن هذه البهائم كانت أمماً وإن كانت لا تعقل ولكنها تسبِّح بحمد ربها وتشكر. . . وهنا يقع الألم والحسرة. . . أتت تلك البهائم وقد كانت أفضل منهم في الدنيا على الرغم أنها لم تكن مكلفة وهم مكلفون، وأنها لا تعقل وهم يعقلون. فالذي لا عقل له يسبِّح ربه في الدنيا وهم يتمتعون بالعقل ونعم اللّه، ولكنهم عاشوا وماتوا وهم كفار لا يعلمون عن التسبيح والذكر شَيئاً. . واللّه أعلم.

تنبيه: إن أنواعاً أخرى من التخاصم ستكون بعد أنواع التخاصم التي ذكرت. . ولكن ما يأتي سيكون تخاصماً بين أفراد ذاتِ المجموعة أو بين الفرد وخصمه أو بين السيد والعبد أو بين الإنسان والشيطان. . وأما ما ذكرت سابقاً فهو التخاصم والاقتصاص والحكم بين الأمم والشعوب. . .

الفصل الثاني

عالم السؤال والحساب:

عالم السؤال: .

- عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة.
- أولا: السؤال عن الإيمان والكفر.
- ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد) وعما استرعاه اللَّه سبحانه.
- ثالثاً: السؤال عن السمع والبصر والفؤاد.
- رابعاً: السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد وعن مرحلة الشباب والقوة.
- خامساً: السؤال عن النعيم (النعم والآلاء).
- سادساً: السؤال عن العهود والمواثيق.

عالم الحساب:

- آيات الحساب في القرآن الكريم.
- أول الحساب وضع المظالم وأخذ الحقوق وردها إلى أصحابها.
- الحساب الفردي ـ القاعدة الإلٰهية في الحساب، حساب الأعمال بالنيات.
- العدل المطلق في الحساب ـ لا ظلم اليوم إن اللَّه سريع الحساب.
- لا ترجمان ولا حميم ولا شفيع عند الحساب بين يدي اللَّه سبحانه.
- إتيان اللَّه كتبهم ليقرؤوها فيحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.
- تصوير القرطبي لمشهد الحساب.

عالم السؤال والحساب

عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة

.. لقد نبَّهنا رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أن هناك أموراً سيسأل عنها العبد يوم القيامة ليستعد لها المسلم المؤمن، وليعلم أن هناك سؤالاً عنها من اللَّه سبحانه.. فليس كل شيء سيسأل عنه الإنسان في دنياه إذ إن أموراً كثيرة لا تكليف فيها.. فأنا لا أحاسب عن قولي وأنا نائم ولا عن قولي وأنا مغشي عليَّ، ولا عن النسيان والسهو، وكذلك لست محاسباً عن عملي قبل سن التكليف، ولست مسؤولاً عن غيري إلا ضمن ما كلَّفني اللَّه سبحانه به، وكذلك لست مسؤولاً عن حركة الكون والأرض والهواء، والحرارة، والبحر، والنهر، والنبات، والحيوان إلا ضمن ما كلَّفني اللَّه سبحانه به، وكثيرة هي الأمور التي لا علاقة لي بها ولا أسأل عنها ولا عن آبائي وأجدادي ومن قبلهم، فكل أمة مسؤولة عن نفسها وكل فرد مسؤول عن نفسه وما كلّف به. يقول تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٣٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

وكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تبيِّن أن الإنسان مسؤول عما كلفه اللَّه سبحانه به، وما استرعاه وما استخلفه

وما حدَّ له من حدود وما أوجبه عليه من إيمان وطاعة وعبادة، وقد بيَّن لنا اللَّه في كتابه ورسوله ﷺ في سنته الشريفة هذه المسؤولية وحدد أنواعها وأنه لا يمكن أن نحاسب يوم القيامة حتى نسأل عنها جميعاً.

أولا: السؤال عن الإيمان والكفر:

قد أعطى اللَّه سبحانه للبشر في الدنيا حرية الإيمان والكفر. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

... فإذا وقف الكافرون بين يدي اللَّه تعالى سئلوا عن كفرهم ولماذا كفروا؟ ويطلب اللَّه سبحانه منهم أن يأتوا بشركائهم. يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

ولقد أقسم اللَّه سبحانه أنه سيسأل الكفار عن افترائهم واتخاذهم أنداداً للَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى عن المشركين:

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[سورة النحل، الآيات: ٩١ ـ ٩٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ١٣]

والافتراء هو الكفر بالله تعالى والشرك به لذلك سيسألون عن كفرهم وشركهم، وويل للظالمين من مشهد يوم عظيم.

ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد) وعما استرعاه الله سبحانه:

. . . لقد نبَّهنا الله سبحانه في كتابه العزيز إلى هذه المسؤولية الجسيمة والتي هي من أهم المسؤوليات الكبيرة المكلف بها الإنسان والمسؤول عنها يوم القيامة، ألا وهي رعاية الأهل من زوجة وأولاد وتربيتهم على الإيمان وإقامة العبادات للّه سبحانه من صلاة وصيام وتأديبهم بآداب الإسلام. . فالزوجة والأولاد تبع للأب في البيت وهم كما يعلِّمهم ويدربهم ينشؤون، واللّه سبحانه يعلم هذا، فالولد طيع لأبيه في صغره، فإذا أدّبه بآداب الإسلام وعلّمه الصلاة والصيام ومحبة اللّه سبحانه ورسوله ﷺ تدرب عليهما ونشأ عليهما وداوم على هذا الأمر طوال حياته الدنيا. . . وإن كان الأب مهملاً وكسولاً وترك أولاده بلا تأديب بآداب الإسلام، وتعليم وتدريب على العبادة نشأ الأولاد على غير طاعة اللّه سبحانه، وهذا ما نجده اليوم في كثير من بيوت المسلمين. . وحتى لا يقول المسلم يوم القيامة عند ربه: يا رب إني مسؤول عن نفسي فقط، نبَّهه اللّه ورسوله ﷺ أن يتقي اللّه بزوجه وأولاده.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

فمن ظاهر الآية مسؤولية الأب والأم عن الأولاد ومسؤولية

الأب عن الزوجة والأولاد أن لا يوردهم موارد الهلاك، وأعظمها مهلكاً نار جهنم يوم القيامة.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيَّع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[١].

وأهمها التكاليف الشرعية وتدريب أهله عليها وتعليمهم تعاليم الإسلام، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«كلكم راع ومسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[٢].

والمرأة في بيتها راعية ومسؤولة تماماً مثل الرجل عن أولادها وعن تربيتهم وما قدمته لهم في معرفة دينهم وتعليمهم شريعة اللَّه الإسلام، وأهمها الصدق ومحبة اللَّه ورسوله ﷺ وإقامة الصلاة والصيام، والتكليفات الشرعية كافة، وكذلك مسؤولة يوم القيامة عما استرعاها اللَّه سبحانه في الحفاظ على بيت زوجها وماله وحفظ عرضها وشرفها وإقامة ما كلّفت به.

ثالثاً: السؤال عن السمع والبصر والفؤاد:

هذه الثلاثة أهم أعضاء الجسد المكلفة، وكم تحدث اللَّه

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

سبحانه ورسوله ﷺ عن هذه الأعضاء الثلاثة في جسد الإنسان... لما لها من علاقة وطيدة بالإيمان بالله سبحانه ورسوله ﷺ وباستقامة المرء أو ضلاله، وكلنا يملك هذه الثلاثة السمع والبصر والفؤاد والحمد لله.. وكلنا يعلم كم لها من تأثير في بناء الشخصية المسلمة المؤمنة من حيث استقامة هذه الأعضاء الثلاثة أو انفلاتها نحو كل محرم.

... فإما أن أنظر إلى حرام وأتابع فيه حتى يدخلني البصر مداخل الحرام، وإما أن أكفه وأردعه فيدخلَني مدخل الرضا.. وكذلك السمع.

فالأذن جاهزة أن تسمع كل شيء حراماً كان أو حلالاً مباحاً كان أو محرماً، وأنا ومن واقع مسؤوليتي أمنع سمعي أن يتجسس بما حرم اللَّه سبحانه عليَّ أو أن أسمع إلى كذب فأنقله فتكون الفتنة.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ١٢]

وهذه مسؤولية الأذن أن لا تتجسس ولا تسمع الحرام.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

والسؤال من اللَّه سبحانه يأتي يوم القيامة لِمَ سمعت ما لا يحل لك سماعه؟ ولِمَ نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ كالعورات

مثلاً، وعن القلب يسأل اللَّه: لِمَ عزمت بقلبك على ما لا يحل لك العزم عليه؟ ولِمَ تعلَّق قلبك بما لا يحل لك شرعاً؟ ولِمَ كرهت ما يحبه اللَّه؟ ولَم أحببت ما يبغضه اللَّه وأنت تعلم؟

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا:

قال رسول اللَّه ﷺ: « **يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول اللَّه تعالى: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخّرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع؟ وفي رواية لصحيح مسلم: ترتع** (أي تنعم بالمأكل والمشرب) **أفكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟** (أي هل كنت تعتقد انك سوف تلقاني في هذا اليوم يوم القيامة) **قال: فيقول العبد** (أي الكافر): **لا، فيقول اللَّه تعالى له: اليوم أنساك كما نسيتني**».

أي اليوم أتركك في العذاب كما تركت في الدنيا شريعتي وديني ولم تؤمن بلقائي[١].

عن شَكل بن حميد رضي اللَّه عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي اللَّه علِّمني تعويذاً أتعوَّذ به، قال: فأخذ بيدي ثم قال: « **قل اللَّهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وشر قلبي وشر مَنيِّ**» قال: فحفظتها[٢].

فليتق الإنسان ربه في سمعه وبصره وفؤاده وليعلم أن كل ما يمر عليه سمعه وبصره وفؤاده ويتوجه إليه، فهو مسؤول عنه أمام اللَّه سبحانه، فإن كان توجهه خيراً فقد أُجر من اللَّه سبحانه، وإن كان توجهه في الشر خسر وباء بخسران مبين.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الستة.

رابعاً: السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد وعن مرحلة الشباب والقوة:

وفي كل هذا سيسأل العبد يوم القيامة. . . لأن هذه هي التكاليف إضافة إلى تكليف الإيمان والعبادة. . . إذ أن أكثر السؤال يوم القيامة سيكون من اللّه سبحانه عن عمره وعلمه وماله وجسده. . فقد ذكر رسول اللّه ﷺ في أحاديثه الشريفة أن العبد لا ينتقل إلى مكان آخر أو مرحلة أخرى من مراحل يوم القيامة إلا أن يسأل عن هذه الأربعة أو الخمسة، ويقف لها وربما يطول به الموقف في السؤال والجواب. . وهذا سؤال غير الحساب على العمل. . فهو يسأل ماذا فعلت؟ وهو يجيب بما فعل.

روى الإمام الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»**.

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟»**.

وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وما عمل فيما علم؟»**.

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي أيضاً والبيهقي، وما ذكره رسول اللّه ﷺ عن السؤال هو ما استرعاه اللّه ابن آدم ولذلك هو مسؤول عنه.. فالتكليف أمانة والعمر أمانة والجسد أمانة والمال أمانة والعلم أمانة.. ولا بد أن نُسأل عن هذه الأمانة، ولقد أقسم اللّه سبحانه بالعصر أي بالوقت والزمن والعمر بأن الإنسان قد خسر إذا لم يرع حق اللّه فيما سأله فعله وطلب منه إنجازه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

[سورة العصر، الآية: ١ ـ ٣]

ويكون السؤال عن مرحلة الشباب والقوة في الإنسان، وهنا موضع الشاهد، فالإنسان لا يعطي إلا بقوة الشباب، فأعظم الطاعة وأحبها إلى اللّه سبحانه ما كانت في مرحلة القوة والشباب حيث يقهر الإنسان نفسه وقوته وشبابه في سبيل اللّه، ومن أجل طاعة اللّه، فإذا ما هرم الإنسان ضعف عن الطاعة والتكليف بسبب هرمه لذلك سألنا رسول اللّه ﷺ أن نغتنم خمساً قبل خمس ومنها «**شبابك قبل هرمك**».. لذلك يكون السؤال عن الشباب شديداً فإذا نجح فيه بما يرضي اللّه كان من السبعة الذين يظلهم اللّه سبحانه يوم لا ظل إلا ظله، كما ورد في الحديث الشريف الذي أوردناه: «**وشاب نشأ في طاعة اللّه**».

... وأما المال الذي استخلفه اللّه بين أيدينا فهو الداء الذي يصيب بامتحانه وبلائه أكثر الناس، فيهوون من أجله مهاوي الردى

والهلاك.. وكم من المال سيكون مهلكة لصاحبه يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس سواء أفي عذاب أرض المحشر أم عذاب في النار كان السبب مالَهم الذي كان بين أيديهم، فلم يحسنوا استخدامه أو استخدموه في معاصيهم وضلالهم أو بخلوا به على اللّه سبحانه وعلى المؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

... وليس من يوم أسعد من يوم القيامة على الذين وضعوا مالهم وما استخلفهم فيه اللّه سبحانه في رضا اللّه وفي سبيل اللّه، وأوسعوا دائرة صدقاتهم فهؤلاء أجرهم لا يعلمه إلا اللّه وهم الذين أقرضوا اللّه، والوفاء يوم القيامة.. فما رأيك بمن أقرض اللّه فكيف يرد اللّه له هذا القرض؟

يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

وأما العلم فالإنسان مسؤول عنه ومحاسب عليه هل عمل به للدنيا ومن أجل الدنيا ومصالحه في الدنيا.. أم كان يبتغي بهذا العلم وجه اللّه سبحانه، وأعظم العلم ما كان للّه وفي سبيل اللّه.. وكم عظَّم اللّه سبحانه العلم في كتابه وعظَّم العلماء ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٩]

وكذلك فعل رسول اللّه ﷺ عندما جعل خير الناس على وجه

الأرض من تعلَّم القرآن وعلَّمه « **خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه** » رواه البخاري عن علي رضي اللَّه عنه، وأما من كان علمه لذاته وآذى به خلق اللَّه سبحانه كصناعة القنابل التي تفتك بملايين الناس، أو تعلَّم لغير دين اللَّه من أجل الدنيا، فكلٌّ هذا يأتي عند محاسبة اللَّه للعبد.

خامساً: السؤال عن النعيم (النعم والآلاء):

إن نعم اللَّه سبحانه علىٰ عباده في الدنيا لا تعد ولا تحصى وهذه حقيقة واقعة ملموسة جهل بها من جهل وعلم من علم، أقر من أقر وأنكر من أنكر.

إن نعمة اللَّه على عباده لا تحصى ولا تعد.. ولكن العبد يظن أن النعم هي فقط تلك التي تحيط به في جسده ورزقه وأهله... لا فإن نعم اللَّه أعظم من هذا بكثير.. فمن نعمة الإيمان إلى نعمة الإسلام إلى نعمة العافية، والولد، والزوجة والأهل من أب وأم وإخوة إلى الرزق الذي لا ينقطع، إلى الماء الذي نشربه إلى الأشجار، والبحار والأنهار... وفوق هذا نعم السموات التي سخرها اللَّه سبحانه لعباده.. فمن منا يستطيع أن يحصي نعمة السماوات وما بطن فيها من النعم.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

ومن أعظم النعم التي أنعم اللَّه سبحانه علينا أن خلقنا وأوجدنا

وهدانا إلى صراطه المستقيم.. ولولا اللّه سبحانه لما خُلقنا ولما وُجدنا ولما تمتَّعنا بهذا النعيم، وفوق كل هذا النعمة العظمى وهي جنات اللّه الخالدات والتي يحيا فيها المؤمن خالداً فيها أبداً.

يقول تعالى مبيناً أنه سوف يسأل الناس أجمعين عن النِّعم التي أنعمها عليهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

[سورة التكاثر، الآية: ٨]

ومعنى الآية الكريمة أن اللّه سبحانه سيسأل عموم الناس عن النِّعم التي مرت عليهم وعايشوها في الدنيا ونعموا بها وتلذذوا، من صحة البدن ولذة الطعام والشراب ولذة الظلال والمأوى ونعمة النظر والسمع والبصر والإحساس والتذوق والنوم... فالنعيم لا يحصى لكثرته، يقول تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٨]

عن الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال: لما نزلت: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال الزبير: يا رسول اللّه، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان الماء والتمر؟ فقال ﷺ: «**أما إنه سيكون**».

[رواه الترمذي في سننه]

يعني أنه سيكون السؤال عن نعمة الماء وغيرها من ألوان الأطعمة والأشربة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال لهما ﷺ: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» فقالا: الجوع يا رسول اللّه، فقال ﷺ: «**وأنا والذي**

نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا » فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **أين فلان؟** » قالت: ذهب ليستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد للَّه ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني.

قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا، وأخذ المدية (أي السكين) ليذبح شاة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: « **إياك والحلوبَ** » أي لا تذبح شاة حلوباً.. فذبح لهم شاة غير حلوب، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر:

« **والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** »[١].

عن زيد بن أسلم عن رسول اللَّه ﷺ في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يعني شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم[٢].

لذلك ينبغي علينا إذا طعمنا أن نسمي اللَّه سبحانه، وإذا شبِعنا أن نحمَد اللَّه تعالى، وإذا لبسنا أن نحمد اللَّه تعالى، وإذا نمنا، ثم استيقظنا أن نحمد اللَّه تعالى، فكل أمر بحاجة إلى حمد.. وهذا هو جواب سؤال النعيم أنك كنت في الدنيا حامداً وشاكراً اللَّه سبحانه على نعمه لذلك جاءت كلمة الشكر والحمد في الدنيا ووقعت مواقع الغفران والشكر والحمد على الآلاء والنعم، فعظَّم اللَّه أجرها في الآخرة وأدام على

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

العبد في الدنيا تلك النعم من واقع الشكر والحمد. عن معاذ بن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **من قال عند طعامه: الحمد للّه الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**» . رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وللعلم فإن اللّه سبحانه يسأل الكافر سؤال تعنيف وتوبيخ وتحقير لأنه كفر بهذه النعم، ويسأل المؤمن سؤال تشريف وتلطيف وتذكير لأنه حمِدها وشكرها.

سادساً: السؤال عن العهود والمواثيق:

لقد عظّم اللّه سبحانه العهد والميثاق وعظَّم فاعله والملتزم به وأنّب الذين ينقضون عهده والعهود والمواثيق على عمومها.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٣٤]

والعهد أخذه اللّه على نفسه، وألزمها به وهو الحق المبين، لذا سألنا أن نلتزم به وفي أكثر من آية كريمة بيَّن اللّه سبحانه لنا أن العهد مسؤول عنه، وأنه سبحانه ما عهده لنفسه سيعطيه لعباده، ومن أصدق من اللّه عهداً ومن أصدق من اللّه وعداً؟

يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٨٠]

ولقد نبَّه اللّه سبحانه على الوفاء بالعهود والمواثيق وأنذر أولئك المخالفين.

يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٩١]

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٥]

والآيات كثيرة، لذا كان العهد مسؤولاً هو وصاحبه بين يدي الحق تعالى، ومن نكصه ونبذه فأولئك عند اللّه هم الضالون، وضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً ببني إسرائيل وقطعهم للعهود ومخالفتهم إياها ونقضها.

يقول تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٠٠]

فالعهد مسؤول وصاحبه مسؤول، فانظر بما عاهدت ولم تف أو فثبّت فؤادك على ما عاهدت اللّه عليه وما عاهدت من عباده.

عالم الحساب

مَدخل:

عالم الحساب عالم كبير ويوم الحساب شأنه كبير وأمره خطير إلا من تغمده اللّه بواسع رحمته. . . وهو يوم الفصل ليس فيه هزل، إذ تقف القلوب عند الحناجر وتُرتعد الفرائص وتهتز أعضاء الجسد جميعها خوفاً وهلعاً، فالقلوب ترتجف، والنفوس تحتضر، والعيون شاخصة. . . والرجاء والأمل والعفو والمغفرة والرحمة ما تنتظره الخلائق عندما يعلن عن بدء الحساب والوقوف فرادى بين يدي أرحم الراحمين ليس من ترجمان ولا شفيع ولا وسيط. . .

. . . لا كذب ولا خداع ولا نفاق ولا دجل ولا مواربة ولا لف ولا دوران ولا رجوع ولا تقدم ولا يمين ولا شمال ولا مخادعة ولا مداهنة، ولا صناعة كلام، ولا تخطيط لمكر، ولا مراءاة، ولا مديح ينفع، ولا معسول الكلام يُربح، ولا منافق ينجح، ولا اعتذار يفلح، ولا نفعاً ولا حكماً. . . أعضاء البشر عليهم شهود، وألسنتهم شهود وجلودهم شهود، قد فرَّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لا حرس ولا جنود ولا مال ولا جاه، ولا سلطان، ولا حكم، ولا إمارة، ولا زعامة، ولا قيادة. . كل هذا التخويل تركوه وراء ظهورهم وجاؤوا ربهم فرادى كما خلقهم أول مرة حفاة عراة غرلاً بهماً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُم

وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۞ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ .

[سورة مريم، الآيات: ٩٣ ـ ٩٥]

وقال تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ .

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ٤٦]

. . . هذه الآيات التي ذكرت تبيِّن معنى الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للحساب، وكيف لا يكون هذا الموقف جليلاً مهيباً وأنت بين يدي جبار السموات والأرض، القاهر فوق عباده، الحي القيوم المطلع على الكبائر والصغائر لا يخفى عليه مثقال الذرة. .؟؟

فكيف لا يكون الموقف جليلاً مهيباً. .؟ وقد جئنا فرادى لا سند ولا معين، تركنا كل ما خوَّلنا اللَّه في الدنيا من رئاسة ومال وجاه وسلطان؟

وكيف لا يكون الموقف جليلاً مهيباً وأنا واقف بين يدي اللَّه سبحانه فرداً، ما أغنى عني ماليه إلا بالحق ولا سلطان إلا بالحق ولا يغني كيد أو مراءاة، أو مداهنة، أو بكاء، أو ندم.

... وكيف لا يكون الموقف للحساب بين يدي الحق سبحانه عسيراً، وما بعده إما خلود في الجنة أو خلود في النار، أو عذاب في النار لزمن طويل؟ فليس الأمر في الدنيا إن لم أفلح أعيد الكرة مرات ومرات ولكن اليوم لا مرات ولا كرة ولا عودة.. بل حساب ـ جزاء ـ عقاب

... فاليوم شعار النجاة القلب السليم وشعار الهلاك القلب الرديء السيئ الدنيء.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

... لقد بدأ يوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، ذاق فيه الكافرون والمشركون من أصناف الذل والهوان والعذاب ما ذاقوا.. ثم جاء موقف عرض الخلائق على الله.. كانت الأمم جاثية على ركبها ذليلة مهانة إلا أمة محمد ﷺ من آمن منهم وعمل صالحاً... ثم يأذن الله بالحساب.

لقد انتهت المقدمات الطويلة ليوم القيامة وجاءت لحظات الفصل والمحاسبة والحكم..

... نعم لقد عُقدت محكمة العدل الإلٰهي التي لا تظلم مثقال ذرة ولا حبة من خردل، ولا يخفى فيها على أحكم الحاكمين مثقال ذرة من خير أو من شر، ومن آلاف مليارات عباده الذين يقفون بين يديه، والعدل المطلق من الله سبحانه تبيّنه ثلاث آيات كريمة:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا

وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

آيات الحساب في القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٢]

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٢١]

ويقول أيضاً: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٤٠]

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٤١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة ص، الآية: ١٦]

﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٦]

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ٢١ ـ ٢٦]

هذه بعض الآيات التي ذكرها اللّٰه سبحانه عن الحساب وأنه الحكم العدل يوم القيامة.. ومما نلاحظه في هذه الآيات أن اللّٰه سبحانه يختم بعضها بأنه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين... واللّٰه سبحانه يؤكد أنه سريع الحساب، ذلك أن المرء قد يسأل نفسه وهو واحد من الخلق الذين يتجاوز أعدادهم المليارات.. فمتى يكون دوره في هذا الحشد العظيم؟ وكم يطول أمد انتظاره حتى يأتي دوره؟ وحتى لا يسأل المؤمن نفسه هذا السؤال كان جواب اللّٰه سبحانه من قبل أن يسأل المؤمن: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، أي له جلَّ وعلا الحكم وحده يوم القيامة وله الفصل والقضاء لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا كما ورد به الحديث.

... وفي خِضمِّ هذا التفسير وأن اللّٰه سبحانه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين نقول:

١ ـ إن اللّٰه سبحانه يدل على عظيم قدراته وأنه قادر على أن يحاسب هذه المليارات في زمن لا يتخيله عقلنا.. والقضاة في الدنيا يعقدون جلسة حكم في قضية شخص واحد تستغرق معهم نصف

يوم، ثم تؤجل الجلسة لمرات أخرى وقد تستغرق القضية الواحدة أعواماً طويلة حتى يحكم فيها الحكم النهائي وقد يكون هذا الحكم ناقصاً.

. . . فتصوروا محاكمة اللّٰه سبحانه وحسابه لتلك الخلائق التي تتماوج كتماوج البحر والتي لا يعلم عددها إلا اللّٰه سبحانه، والمحاكمة والحساب على مدى الحياة كلها وليست على قضية واحدة أو حدث واحد أو جريمة واحدة. . . فتصور قدرة اللّٰه سبحانه.

٢ ـ إن المؤمنين يقفون كما تقف الخلائق جميعاً كافرهم ومشركهم وضالهم وعاصيهم وفاسقهم والوقت يشملهم كما يشمل الأقوام الكافرة. . . وذلك على غير الموقف في أرض المحشر والذي امتد زمنه على الكافرين والمشركين ما يقرب من خمسين ألف سنة وقصر زمنه على المؤمن كالوقت الذي يستغرقهُ رجل توضأ وصلى فريضة الظهر. . فإكراماً للمؤمنين يسرع اللّٰه في حساب الأمم وزيادة في التكريم تكون أمة محمد ﷺ أول الأمم التي تحاسب.

٣ ـ إن اللّٰه سبحانه يسرع في حساب الأمم الكافرة والمشركة حتى يلقوا في نار جهنم مأواهم ومستقرهم خالدين فيها، لأن الوقوف بين يدي اللّٰه رغم ما فيه للكافرين من ذل وهوان فهم في فترة عن العذاب الذي يستحقونه لأن الوقوف بين يدي أرحم الراحمين رحمة. . وهم لا يستحقونها واللّٰه أعلم.

أول الحساب وضع المظالم وأخذ الحقوق وردها لأصحابها

في فقرات سابقة بيَّنَّا أن اللَّه سبحانه يقتص للأمم المظلومة من الأمم الظالمة، بعد أن يسمع اللَّه سبحانه الاختصام بين تلك الأمم، ثم يحكم بينهم كما وعد في كتابه الكريم في أكثر من آية، وقد بيَّنَّا ذلك كله.

... فإذا بدأ اللَّه سبحانه بحساب الناس فرادى، توضع المظالم وتؤخذ الحقوق حتى لا يبقى لمظلوم مظلِمة ولا دين من مدين لدائن إلا أخذه حتى لو كان من مؤمن لكافر، وهذا تمام عدل اللَّه وهو أحكم الحاكمين.

وروى الإمام أحمد، من حديث عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد اللَّه: أنه اشترى راحلة، وسار إلى عبد اللَّه بن أُنيس شهراً ليسمع منه حديثاً بلغه عنه، فلما سأله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«**يحشر الناس يوم القيامة، أو قال: العباد عراة غرلاً بهماً**» قلنا: وما بهماً؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: وكيف وإنا إنما نأتي اللَّه بُهْماً؟

قال: « **بالحسنات والسيئات** » . .

[رواه الإمام أحمد]

ـ وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ في الحديث القدسي الطويل: « **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه** » .

يقول تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٥٤]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٤٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ويقول أيضاً: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٩]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ .

[سورة الشورى، الآيتان: ٤١، ٤٢]

ويقول تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١١١]

. . فويل لمن ظلم أخاه أو جاره أو أي أحد من خلق اللَّه تعالى، فهذه الآيات الكريمة التي ذكرت تبيِّن سوء أمر الظالمين يوم القيامة عند الاقتصاص منهم من قِبل اللَّه سبحانه وهو الذي نبَّههم في الدنيا أن لا يتظالموا وأنه حرَّم الظلم على نفسه، وقد قال تعالى في الحديث القدسي:

«إني حرَّمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته محرَّماً بينكم فلا تظالموا».

[رواه مسلم عن أبي ذر رضي اللَّه عنه]

فالذي يخيب ويخسر هو الذي ظلم الناس واعتدى على حقوقهم واستهان برد حقوقهم يوم القيامة، والقبض والدفع في يوم المرء فيه بأشد الحاجة إلى حسنة واحدة ـ هو الحسنات والسيئات ولا يملك المرء غيرهما لتصفية الحسابات.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»**(٢).

فالدفع هناك ليس بالعملات ولا بالذهب والفضة ولا بالاعتذار

---

(١) رواه البخاري الفتح ٦/ ٢٦.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١٩٩٧.

من صاحب الحق ولا بالأسف، ولا بالندم... إنما الدفع بالحسنات.. واللَّه سبحانه يقدر الحق وكيف يكون الدفع من الحسنات.. فإذا انتهت حسناتك أي انتهى رصيدك من الحسنات أو لم يكن لك في الأصل حسنات يؤخذ من سيئاتهم ثم توضع في صحيفة أعمالك وهكذا يكون بين الفرد والفرد، والفرد والاثنين، والفرد والثلاثة، والفرد والجماعة من الناس... فتصور أنه يؤخذ من حسناتك وأمام نظرك وبصرك، وأنت لا تستطيع دفع ذلك، وأنت بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة لتثقل بها صحيفتك وميزانك، أو تصور أنهم يطرحون عليك سيئات غيرك وأنت لم تقترفها وأنت بحاجة إلىٰ من يرفع عنك من صحيفتك سيئة واحدة أو من يحمل عنك بعض ذنوبك..

والمظالم والحقوق عديدة بيَّنها رسول اللَّه ﷺ في حديثيه المتقدمين وأولها شأناً القضاء في الدماء أي في القتل. عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(١). حيث يتعلق المقتول بالقاتل ويقول: يا رب خذ لي حقي ممن قتلني. إذاً أول ما يقضى في الحقوق يقضى في القتل وهي أشدها حساباً لأن القاتل تعدى على أكبر حق وهو حق الحياة الذي وهبه اللَّه سبحانه لعباده.

••وبعد حق الدماء حق الأموال والتي تمادى فيها الناس في هذه الأيام، حتى إنه لا يلتفت كثير من الناس إلى المال، هل أخذه بحقه أم بغير حقه؟ هل أخذه من حرام أم حلال؟ فالمهم عنده أن يكسب المال.. فواللَّه لو كان درهم واحد أخذه ظلماً وعدواناً متعمداً سيدفعه هناك المرء مما معه من الحسنات.

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق ٨/ ١٣٨ ورواه مسلم.

. . . ثم يكون الحساب على الكلمة من نميمة أو غيبة، أو شتيمة أو سب، وكم يكون لبعضهم في ذمة بعضهم الآخر من حسنات سيدفعونها لهم يوم القيامة وهم لا يعلمون. . . فكم شُتم أناس من وراء ظهورهم وهم لا يعلمون؟ وكم نُم على أناس من وراء ظهورهم وهم لا يعلمون؟

وكم اغتاب فلان فلاناً وهو لا يعلم؟

وكم يقع الإنسان في حياته الدنيا في مصيبة وهو لا يعلم فاعلها؟ ولكن اللّه يعلم وسيأخذ له حقه يوم القيامة؟

فسبحان الذي لا تضيع عنده الأعمال والأقوال، وسبحان الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور! وسبحان الذي يعلم ما توسوس به أنفسنا، وسبحان الذي أحصى كل شيء قولاً وفعلاً وعدداً.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

سيفاجأ الناس يوم القيامة بدقة ميزان وحساب اللّه سبحانه حتى إن اللّه سبحانه سيأتي يوم القيامة بما ظنه الناس هيناً لا قيمة له ولا وزن.

قال تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

وفي خطاب لقمان لابنه بيّن له فيه عظمة ودقة علم اللّه وأنه لا تضيع عنده مثاقيل الذر من الخير.

يقول تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ١٦]

... وفي هذا الموقف العظيم.. تظهر عظمة اللَّه سبحانه وعلمه.. علمه بنفوس خلقه وما كانوا عليه... فاللَّه سبحانه يقضي بين الأفراد في مظالمهم وحقوقهم، فهناك من قتل في ساحة الجهاد وهناك من قتل خطأ وهناك من أكره وأجبر.. وأيضاً هناك من أخذ أموال الناس يريد أداءها ولكن أصابه عجز أو خسارة عن غير قصد، وفي نيته الدفع والأداء ولكن عاجلته المنية في الدنيا أو طال به الزمن وعجز عن الوفاء، وهناك الضرب لعقاب، وهناك السب غير المقصود، وهناك من تاب ولم يجد من أساء إليه ليعتذر منه، وهناك من هيأ اللَّه الرزق له فأراد أن يدفع دينه ولكن لم يجد المدين فتصدق عنه، وهناك من منعه من الاعتذار حدوث فتنة فأسرَّ التوبة في قلبه وسأل ربه الغفران... كل ذلك يعلمه اللَّه سبحانه فيتولى سبحانه القضاء والدفع ومصالحة الخصماء.

... ومن سوى اللَّه سبحانه يعلم كل هذا ومن بين مئات المليارات من البشر الواقفة بين يديه للحساب؟ وسيأتي بيان إرضاء اللَّه سبحانه للخصوم في حينه.

... وهكذا في هذا الموقف العصيب تأخذ محكمة العدل الإلٰهي الحق من صحيفة هذا وتضعه في صحيفة هذا، وتأخذ من سيئات هذا وتضعه في صحيفة هذا، ويرضي اللَّه الخصماء حتى تتم التصفية النهائية، ولم يعد لأحد حق عند أحد ولا مظلمة لأحد عند أحد، يبدأ اللَّه سبحانه بحساب الفرد عن أعماله بعد أن انتهت صحيفة

أعماله من الذي له والذي عليه وبقي معه ما سجل له فيها من الحسنات والسيئات.

... نعم يبقى عمله وما قدَّمه في حياته الدنيا من عبادات وطاعات ومعروف وإحسان وصدقة وإصلاح بين الناس وما قدَّمه من نوافل العبادات وما نوى فعله وفعله، وما نوى فعله ولم يفعله سواء أكان خيراً أم شراً.

الحساب الفردي
القاعدة الإلهية في الحساب،
حساب الأعمال بالنيات

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى**»[١].

وإلا ما معنى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.
[سورة غافر، الآية: ١٩]

وإلا ما معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.
[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

وفي الدنيا بيَّن لنا رسول الله ﷺ كيف أن الله سبحانه يحاسب على ظاهر العمل وباطنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك: فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، وإن همّ بها وفعلها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمِائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها ـ أي: تخوفاً من الله تعالى كتبت له حسنة كاملة، وإن همَّ بها ففعلها كتبت له سيئة واحدة**». لذلك قال تعالى مبيِّناً لعباده أن النفاق في العمل: حيث يكون ظاهره غير باطنه.

يقول تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٤]

وهذا يكون للمنافقين الذين يتظاهرون بشيء وفي نياتهم وبواطنهم أشياء أخرى، فالنفاق إظهار العمل على غير صورته أو مراده، أما من نوى السيئة ولم يفعلها فهذا أمر آخر لأن اللّه سبحانه لا يعذب إنساناً على ذنب إلا إذا اقترفه كما بيَّنَّا في الحديث الشريف.

وكذلك فإن اللّه سبحانه تجاوز لأمة محمد عما حدثت به أنفسها دون أن تعمل به.

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« إن اللّه تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به»[1] .

وفي رواية: **« ما وسوست به صدورها»** .

وهذا من رحمة اللّه سبحانه وإلا كان الحساب شديداً عسيراً لا ينجو منه أحد.

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: إن أصحاب النبي ﷺ قالوا:

« يا رسول اللّه، إنَّ أحدنا ليجد في نفسه فَلأن يحترق حتى يصير حُمَمة أو يخر من السماء إلى الأرض أحبّ إليه من أن يتكلم به»[2] .

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ سألوه.. إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: «**أو قد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذلك صريح الإيمان**»[١].

وفي رواية لأبي داود قال ﷺ: «**الحمد للّه الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة**».

---

(١) رواه مسلم.

العدل المطلق في الحساب لا ظلم اليوم إن اللّٰه سريع الحساب

.. لقد نفى اللّٰه سبحانه عن نفسه الظلم وبيَّن في أكثر من آية كريمة أن اللّٰه سبحانه ليس بظلام للعبيد ـ فسيتم الحساب يوم القيامة، وإن حاول الإنسان أن يدافع عن نفسه في كثير من أمور الحساب، إلا أنه يعلم أن اللّٰه سبحانه لم يظلمه ولن يظلمه ولو قدر أنملة أو حبة أو مثقال ذرة أو حبة من خردل.

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٢]

ويقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٩]

وعن يوم القيامة وحساب الناس بالعدل المطلق وأنه لا ظلم لأحد ولن يكون امرؤ مظلوماً عند الحساب.

يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ * وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

[سورة غافر، الآيات: ١٧ ـ ٢٠]

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

لا ترجمان ولا حميم ولا شفيع عند الحساب بين يدي اللّه سبحانه

يقول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٨]

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلّا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(١).

... إنه موقف الرهبة بين يدي العزيز الجبار، فإنها واللّه ساعة لا تخفى على الموقنين رهبتُها ولا على المتقين شدتها.

(١) رواه البخاري، فتح الباري ١٧/ ٢٥٥.

إتيان اللّه سبحانه العباد كتبهم ليقرؤوها فيحاسبوا أنفسهم قبل أن يُحاسبوا

. . . إن من عدل اللّه سبحانه أنه يعطي كل عبد من العباد كتابه المسطور به جميع أعماله، صغيرها وكبيرها التي كتبها عليه الملكان الموكلان به في الدنيا. . . وقد بيَّن اللّه سبحانه لنا هذا في كتابه الكريم حتى لا يقول العبادُ يوم القيامة: إنَّا كنا عن هذا غافلين. . أو إننا لا ندري أن لنا كتباً أو جاءنا رسل وأنه موكل بنا ملائكة تكتب جميع أعمالنا.

يقول تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٥]

وجاءت الآيات القرآنية الكريمة صريحة وواضحة وضوح الشمس والقمر ليس من دونهما سحاب، أن الإنسان سيقرأ كتابه قبل أن يحاسبه اللّه سبحانه ليعلم أن اللّه سبحانه لم يظلمه، وأن الملكين الموكلين به لم يظلماه، وأن ما سطر وكتب هو الحق والعدل فلا زيادة ولا نقصان ولا ظلم ولا افتراء ولا مسايرة، فكل كلمة نطق بها مسطورة وكل فعل مسطور وكل حركة مسطورة من غمز ولمز قصد بهما الاستهزاء والاستخفاف والسخرية، وكل بسمة وضحكة وبكاء وعويل وكل كذب ونفاق ودجل، وكل خير ولو كان قدر ذرة واحدة من فعل وقول وعمل. . تماماً كما وعد اللّه ورسوله ﷺ، فالخطوات إلى المساجد محسوبة بمنتهى الدقة، والخطوات إلى الحرام محسوبة بمنتهى الدقة، والخطوات التي يسعى فيها

إلى مصالحة الناس رغبة في ثواب اللَّه محسوبة، والحب في اللَّه محسوب، والبغض في اللَّه محسوب، وكل ذلك سواء أكان في الليل أم في النهار، فالملكان معه في الليل والنهار منذ ولادته وحتى موته لا يفارقانه أبداً حتى في نومه ينتظرانه حتى يستيقظ.. دقة متناهية وعدل مطلق لا زيادة ولا نقصان، واللَّه أعلم بالملكين وما يكتبانه ويعلم أن ملائكته ملائكةٌ عدول لا يخونون اللَّه سبحانه ولا يفعلون إلا ما يؤمرون.

يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

فإذا استلم العباد كتبهم وهي سجلات كبيرة ضخمة واضحة كتب فيها مسيرة حياتهم الدنيا منذ تكليفهم وحتى مماتهم.. فكم يتكلم الإنسان من كلام في اليوم ويعمل أعمالاً.. فتصور حجم هذه الكتب وكم سطر فيها من خير وشر... فإذا استلموها قرؤوها بتفصيل دقيق، كلمةً كلمة وعملاً عملاً، يظهر فيها الصدق والكذب والحق والمراءاة والنفاق والوفاء.

... فأما الكافر والمشرك والضال والعاصي والمجرم والأفاك والأثيم والحلاف والكذاب فيصرخ ويبكي ويقول: يا ويلتي يا ويلتي ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكتبها ـ يا ويلتي لقد نسيت هذا كله.. وا حسرتاه على ما فرطت في جنب اللَّه.

يقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ولنقرأ في كتب المفسرين حول هذه الآية العظيمة، والتي تصور حال الضالين والعصاة من الخلائق ساعة قراءتهم لكتبهم، حيث يدرك الهالك هلاكه ويدرك الناجي نجاته فلا ظلم اليوم عند اللّه سبحانه.

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾، أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرَّطنا في أعمارنا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾؛ أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها، أي ضبطها وحفظها، وقوله: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾؛ أي من خير وشر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٣٠]

وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم، ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجِّي أصحاب المعاصي، ويخلِّد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي وضعت صحائف أعمال البشر وعرضت عليهم ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي فترى المجرمين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾؛ أي يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرَّطنا في حياتنا الدنيا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾. . . أي ما شأن هذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ضبطها وأحاط بها؟ ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾؛ أي مكتوباً مثبتاً في الكتاب ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، أي لا يعاقب إنساناً بغير جُرم ولا ينقص من ثواب المحسن: أي وجعل كتاب صحيفة الأعمال لكل إنسان في يده حين الحساب، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدَّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب ولا يتجاوز ما حدَّه من العقاب.

وأما إذا قرأ المؤمن كتابه ورأى أعماله مسطورة ما نقص منها شيء، بل وجد فيها ما وعد اللّه سبحانه من مضاعفة الحسنات في أي عمل قام به كما مرَّ معنا في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم:

«إن اللّه كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، وإن همَّ بها وفعلها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة». رواه البخاري ومسلم. ثم يقرأ المؤمن الصالح أن اللّه سبحانه تجاوز عن كثير من أخطائه وذنوبه وهفواته.

. . . ألم يقل رسول اللّه ﷺ كما ورد:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[1].

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كفارات الخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(١)

... وكثيرة هي الأعمال التي تمحو الخطايا وتحطها حطًّا.

... فإذا قرأ المؤمن الصالح هذا ووجد رحمة الله في كتابه، وأن كتابه مليء بالحسنات طار فرحاً وأخذ ينادي بين الناس هاؤم اقرؤوا كتابيه.. وأي سعادة أعظم من هذه السعادة والناس في همٍّ عظيم وخوف شديد؟

يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيتان: ١٩، ٢٠]

وقد بيَّن الله سبحانه لنا في كتابه الكريم أن لكل إنسان ملكين يكتبان أقواله وأعماله: ملك عن يمينه، وملك عن شماله، لا يكتبان إلا الحق ولا يزيدان ولا ينقصان.

يقول تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٨٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

[سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢]

---

(١) رواه ابن ماجه.

وقد نبَّه اللَّه سبحانه أنه سيخرج لهم يوم القيامة كتاباً ينطق على كل عبد بالحق، لأن اللَّه سبحانه يستنسخ ما كان الناس يقولونه ويعملونه.

يقول تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾.

[سورة يس، الآية: ١٢]

ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨١]

لذلك عندما يقرأ العباد كتبهم ويعلمون أن كل ما فيها حق، ويتذكرون كل مسطور فيها من أقوالهم وأعمالهم بعد أن نسوها تماماً، يسألهم ربهم: هل ظلمكم كتبتي أي الملائكة؟ وهل تنكرون من هذا المكتوب شيئاً؟ فلا يستطيعون أن يكذبوا على اللَّه سبحانه.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن اللَّه سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب»[(١)].

وللحديث بقية سنعرضه في حينه.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني.

لذلك سأل اللّه سبحانه عباده المؤمنين العفو والمسامحة في الدنيا عن المظالم لينالهم أجر عظيم في الآخرة، وبيّن رسول اللّه ﷺ ما يعفو عنه اللّه يوم القيامة وما لا يعفو عنه ومنها مظالم العباد، عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ قال:

«الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر اللّه منه شيئاً، وديوان لا يعبأ اللّه به شيئاً، وديوان لا يترك اللّه منه شيئاً. قال ﷺ: فأما الديوان الذي لا يغفر منه شيئاً فالإشراك باللّه تعالى، وأما الديوان الذي لا يعبأ اللّه به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن اللّه يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز، وأما الديوان الذي لا يترك اللّه منه شيئاً فمظالم العباد، بينهم القصاص لا محالة»(١).

قال العلامة الطيبي رحمهُ اللّه تعالى: إنما قال ﷺ في القرينة الأولىٰ: لا يغفر اللّه منه، ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلاً، وفي الثالثة لا يترك ليؤذن بأن حق الآخرين لا يهمل قطعاً، فإما أن يقتص من خصمه أو يرضيه اللّه سبحانه وتعالى.

. . . لذلك عظَّم اللّه سبحانه أمر (العفو) في كتابه الكريم ووعد العافين في الدنيا أجراً عظيماً في الآخرة، ذلك رحمة من اللّه في المؤمنين في الدنيا حتى لا يقف المؤمن موقف الذليل يوم القيامة عند مطالبة الخصم بحقه إن لم يقدر على وفائه في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾.

[سورة آل عمران: الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم في المستدرك.

فانظر كيف وصل اللَّه سبحانه بيَّن دخول جناته وبين أولئك الذين ينفقون في السراء والضراء والذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس.

ويقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٩]

وكذلك فإن اللَّه سبحانه طلب من المؤمنين أن يعفوا عن المَدِين المُعسِر الذي لم يعد يستطيع الوفاء ولأمر ألمَّ به ووعدهم بأجر عظيم.

يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠]

أي أن تعفوا عن الدين فهو خير لكم عند ربكم.

تصوير القرطبي لمشهد الحساب

قال القرطبي مصوراً مشهد الحساب: فإذا بعث العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء اللَّه، حفاةً عراةً، وجاء وقت الحساب الذي يريد اللَّه أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه.

وأنشدوا:

مثّل وقوفك يوم العرض عُرياناً ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... علىٰ العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... اقرأ من عرف الأشياء عرفانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهَّم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلمَّ إلى العرض على اللَّه تعالى، وقد وكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى اللَّه، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغيّر لونك، وطار قلبك، تُخطيَ بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم،

وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهَّم نفسك، وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكّركها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص، فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

فأما من أوتي كتابه بيمينه، فيعلم أنه من أهل الجنة، فيقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وذلك حين يأذن اللّه، فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر من تبعه عليه، دعي باسمه واسم أبيه، فيتقدم حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها ويصفر وجهه ويتغيَّر لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً، ثم يقلب كتابه، فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحاً، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويكسى حلتين، ويحلى كل مفصل فيه، ويكون بطول ستين ذراعاً، وهي قامة آدم. ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشّرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۞ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، قال اللّه تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، أي مرضية قد رضيها ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ في السماء ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أدنيت منهم. فيقول لأصحابه:

هل تعرفونني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشّر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي قدّمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأساً في الشر يدعو إليه، ويأمر به، فيكثر من تبعه عليه، ونودي باسمه واسم أبيه، فيتقدَّم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود، بخطّ أسود، في باطنه الحسنات، وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها، ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه حسناتك، وقد ردت عليك، فيسود وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه، فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك، أي يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل. قال: فيعظم إلى النار، وتزرق عيناه، ويسود وجهه، ويكسى سرابيل القطران.

ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فينطلق وهو يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ يعني الموت ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: هلكت عني حجتي.

قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ الله أعلم بأي ذراع. قال الحسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سبعون ذراعاً بذراع الملك ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ قيل: يدخل عنقه فيها، ثم يُجَرّ بِها، ولو أن حلْقة منها وضعت على جبل لذاب.

فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون: لا، ولكن قد

نرى ما بك من الحزن، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فتخلع كتفه اليسرى، فيجعل يده خلفه، فيأخذ بها كتابه. وقال مجاهد: يحوّل وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك.

فتوهَّم نفسك إن كنت من السعداء، وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حلّ بك الكمال والحسن والجمال، كتابك في يمينك، آخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً. وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك، وتتخطى الخلائق، كتابك في شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادي بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

الفصل الثالث

حساب المؤمنين ومنهم أمة محمد ﷺ :

- أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم .

- أول الناس حساباً وقضاءً يوم القيامة المراؤون والمنافقون .

- عظم شأن الدماء وأول ما يُقضىٰ بين العباد في الدماء .

- عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

أولاً : الذين لا يؤدون فريضة الصلاة .

ثانياً : الذين لا يؤدون فريضة الزكاة .

ثالثاً : التاركون لفرض الصيام .

رابعاً : التاركون لفريضة الحج .

خامساً : آكلو الربا .

سادساً : مدمنو الخمر .

سابعاً : العاق لوالديه .

ثامناً : المتكبرون .

تاسعاً : الغادرون وفضيحتهم .

عاشراً : الغلو .

أحد عشر : صاحب الوجهين .

اثنا عشر : المنان بما أعطى .

ثلاثة عشر : غاصب الأرض .

أربعة عشر : الديوث والشيخ الزاني والمرأة المسترجلة .

خمسة عشر : الحاكم الذي يحتجب عن رعيته

ستة عشر : الذي يسأل الناس وعنده من الرزق ما يكفيه ويغنيه .

سبعة عشر : الذين يكذبون في حلمهم ويستمعون للناس وهم لهم كارهون .

ثمانية عشر : السحرة والعرّافون .

تسعة عشر : آكلُ أموال اليتامى ظلماً .

عشرون : التولي يوم الزحف (الجهاد) .

واحد وعشرون : قذف المحصنات المؤمنات الغافلات .

اثنان وعشرون : كتم العلماء لعلمهم واحتجابهم عن الناس .

ثلاثة وعشرون : أصحاب الأيمان الكاذبة .

أربعة وعشرون : جر الثوب استكباراً وخيلاء .

حساب المؤمنين
ومنهم أمة محمد ﷺ

١ ـ عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

٢ ـ الأتقياء من المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم

في هذا اليوم العظيم تكون لأمة محمد ﷺ إكرامات وأولويات عن سائر الأمم وإن كانوا آخر الأمم إلا أن اللّٰه سبحانه يجعلهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة.

عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

« نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بَيْد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه اللّٰه علينا هدانا اللّٰه له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد »[1].

عن أبي هريرة وحذيفة رضي اللّٰه عنهما قالا: قال رسول اللّٰه ﷺ:

« نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق »[2].

عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما أن النبي ﷺ قال: **« نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيّها؟ فنحن الآخرون الأولون »**[3].

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٥٨٥.
(٢) رواه مسلم رقم الحديث ٥٨٦.
(٣) رواه ابن ماجه في السنن برقم ١٤٣٤ وصححه الألباني والهيثمي.

ـ أول الناس حساباً وقضاءً يوم القيامة المراؤون والمنافقون:

لقد بيّن رسول اللّه ﷺ أن المرائين والمنافقين هما أول من يقف بين يدي اللّه سبحانه، واللّه يعلمهم جميعاً فيدعون دعوة واحدة ويقفون موقفاً واحداً وما ذلك على اللّه بعزيز.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار... ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع اللّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرّفه نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»(١).

ـ عظم شأن الدماء وأول ما يقضى بين العباد في الدماء

من أعظم الأمور عند اللّه أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه اللّه تبارك وتعالى، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث ١٩٠٥.

«يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب، هذا قتلني: فيقول: لم قتلته؟

فيقول: قتلته لتكون العزة لك.

فيقول: فإنها لي.

ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: أي رب، إن هذا قتلني.

فيقول الله: لِمَ قتلته؟

فيقول: لتكون العزة لفلان.

فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه».

وفي السنن للترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب، سل هذا فِيمَ قتلني؟ حتى يدنيه من العرش**»(١).

ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يقضى فيه بين العباد.

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٢).

قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفي الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك(٣).

ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث: «**إن أول ما يحاسب عليه**

---

(١) صحيح الجامع الصغير: (٦/ ٣٢٤) ورقم الحديث: ٧٨٨٧.

(٢) جامع الأصول: (١٠ / ٤٣٣٦، ورقمه: ٧٩٦٨).

(٣) فتح الباري: (١١/ ٣٩٧).

العبد الصلاة» ، قال ابن حجر العسقلاني: ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه:

« **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته»** الحديث أخرجه أصحاب السنن، لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق. والثاني: فيما يتعلق بعبادة الخالق. وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود بين الخبرين، ولفظه:

« **أول ما يحاسب العبد عليه صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»**[١] .

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٩٦).

عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم

مدخل:

ليست حال عصاة المؤمنين الموحدين عند العرض على اللّه سبحانه والحساب حالاً واحدة إنما هي حالات كثيرة ودرجات كثيرة... فهم كما يتفاوتون عند البعث من القبور والحشر والموقف في أرض المحشر الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، كذلك يتفاوتون عند العرض على اللّه سبحانه قبل بدء فصل القضاء والحساب كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

... كذلك هم يتفاوتون عند الحساب فهم حالات ودرجات، وكل حسب عمله ودرجة إيمانه وما قدَّمه في حياته الدنيا من خير أو شر ومن طاعة أو معصية.

... فحال عصاة المؤمنين عند الحساب تختلف باختلاف ما ارتكبوه من معاصٍ وذنوب وترك لفرائض اللّه سبحانه، وأيضاً ما ارتكبوه من كبائر حرَّمها اللّه سبحانه عليهم.

... فمنهم من كان يرتكب كبيرة واحدة ولا يأتي غيرها، ومنهم من كان يرتكب كبيرتين، أو ثلاثاً، أو خمساً. ومنهم من كان

يأتي فريضة الصيام ولكنه لا يأتي فريضة الصلاة.. ومنهم من كان يأتي فريضة الصلاة والصيام ولكنه لم يؤدِ فريضة الحج وما عليه من زكاة في ماله.. ومنهم من أدَّى زكاة ماله سنوات وانقطع سنوات، ومنهم من صلَّى الفروض سنوات وانقطع سنوات.

.. ومنهم من كان يأتي الكبيرة في السنة مرة واحدة، ومنهم من كان يأتيها في السنة مِائة مرة.. ومنهم من كان يرتكب كبيرة الزنا ولكنه لا يرتكب كبيرة الربا والخمر.. ومنهم من كان قائماً على فروضه كلها مرائياً ولكنه يزني ويرابي ويشرب الخمر إلى مئات بل آلاف الاحتمالات والحالات بين العصاة.

.. واللَّه سبحانه يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فلا بد أن يكون لكل عبد حالة ودرجة في كل موقف من مواقف يوم القيامة.

... فلو أن رجلين تشابها في كل أعمالهما ولكن أحدهما زاد عليه في عمره صلاة فريضة واحدة في المسجد، أداها هو الآخر في بيته لكان بينهما تفاضل عند الذي لا تضيع عنده مثاقيل الذر.

... وكثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ التي بيَّنت هذه الحالات وبيَّنت عقاب أهل الكبائر وجزاء أهل الخير من المؤمنين الأتقياء.. وقد فصَّل اللَّه سبحانه ورسوله هذه الحالات.. وعقوبة أو جزاء كل حالة منها يوم القيامة.

... فصغائر ذنوب المؤمنين الصالحين قد غفرها اللَّه سبحانه وتعالى في الدنيا بفضل عبادتهم وأعمالهم الصالحة، والأحاديث

الشريفة قد أشارت إلى هذا كقوله ﷺ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(١).

وأما عصاة المؤمنين الذين ماتوا على المعاصي والكبائر، ولم يؤدوا ما عليهم من فرائض وطاعات فإن الصغائر تبقىٰ معهم كما تَبقىٰ الكبائر، لأنّ الصغائر كما قدّمت لها شروط لغفرانها فإذا لم تؤت لم تغفر لهم..

... ولقد جعل اللّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ لكل كبيرة ومعصية وترك الفرض حالة من العذاب يوم القيامة.. فحالة الذين لا يؤدون الزكاة تختلف عن حالة الذين لا يؤدون الصلاة، أو الصيام أو الحج.

... وكذلك حالة مرتكب الزنى غير حال مرتكب الربا (المرابون) فلكل حالة موقف وعذاب.

... وفي الفقرات التالية نتناول تلك الحالات وعذابها نسأل اللّه برحمته أن يجنِّبنا إياها ويتوب على مرتكبها في الدنيا كي يأمن من سخط اللّه يوم القيامة ويأمن من عذابها المذل المهين، أجارنا اللّه سبحانه وإياكم من مثل هذه المواقف، وأبعدنا عن العذاب والذل والهوان.

أولاً: الذين لا يؤدون فريضة الصلاة:

لقد جعل اللّه سبحانه لفرائضه التي افترضها على عباده أعذاراً

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده والترمذي في السنن.

إلا الصلاة فلم يجعل اللّه سبحانه لها أي عذر فقد أُمِر بها الصغير وهو ابن عشر، وهي مفروضة على الكبير، والشيخ العجوز، والمعافى، والمريض، والمقيم، والمسافر، والأعمى والبصير، والسيد والعبد، والرئيس والمرؤوس، لم يعف منها أحد من المسلمين، فمن لم يستطع أن يصليها واقفاً فقاعداً، ومن لم يستطع أن يصليها قاعداً فمضجعاً، ومن لم يستطع أن يصليها مضجعاً فبلسانه أو في قلبه وفكره. . . ففرض الزكاة على من يملك المال وفرض الحج على من يستطيع إليه سبيلاً، وفرض الصيام على الذين يستطيعونه، أما الصلاة فلا أعذار لها. لذلك يكون الحساب على الصلاة عسيراً جداً يوم القيامة. . وقد فرّق رسول اللّه ﷺ الكافر عن المؤمن بترك الصلاة. قال رسول اللّه ﷺ: «**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».

فمن ترك الصلاة عامداً متعمداً جاحداً لفريضتها فهو كافر بحكم الشرع من حديث رسول اللّه ﷺ، لذلك يكون الحساب عسيراً على ترك الصلاة وهي الركن الأول من أركان الإسلام، وقد بيَّن رسول اللّه ﷺ موقف تارك الصلاة يوم القيامة وهو بين يدي اللّه سبحانه عند الحساب.

ـ عن أنس بن حكيم الضبي قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة، قال: فنسبني فانتسبت له، فقال: يا فتى ألا أحدثك حديثاً؟ قال: قلت: بلى رحمك اللّه، قال يونس: وأحسبه ذكره.

عن النبي ﷺ قال:

«**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وان كان انتقص منها شيئاً قال:**

انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم وتؤخذ الأعمال علىٰ ذاكم»(١).

عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول:

«إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وان فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك»(٢).

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجلَّ لملائكته: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك»(٣).

. . . فإن كان تارك الصلاة عامداً طوال حياته ومات على ذلك فهو مع الكافرين في النار لكنه لا يخلد فيها إن كان مؤمناً لم يرتد عن دينه وهو من أهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللّٰه. . فهذا أمره إلى اللّٰه. . . وفي مرحلة من المراحل تصيبه الشفاعة فعلمه عند اللّٰه سبحانه.

. . . أما من صلحت صلاته فكما في الحديث فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت كأن تكون صلاته نفاقاً أو مراءاة فقد خاب

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥ وأبو داود في السنن ١/ ٢٠٠١.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه صحيح الجامع ٢/ ١٨٤رقم ٢٠١٦.

(٣) رواه أبو داود وأحمد والنسائي والحاكم صحيح الجامع (١/ ٣٥٢ رقم ٢٥٦٨٢).

وخسر، وأما من كانت صلاته ناقصة، فينظر في صلاة التطوع من سنن ونوافل هل تكمل الفروض أم لا تكمل.. فإن كانت لا تكمل حوسب حساباً شديداً على الفروض التي تركها.. أما إذا كان متكاسلاً عن الصلاة وسها عنها بصورة دائمة أو لا يصلي إلا يوم الجمعة أو ما شابه فقد قال تعالى في هؤلاء:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

[سورة الماعون، الآيات: ٤ ـ ٧]

ثانياً: الذين لا يؤتون الزكاة:

الزكاة فرض فرضه اللَّه سبحانه على المؤمنين وشدَّد سبحانه على الناس المالكين للنصاب في أداء هذا الفرض لما له من أهمية عظيمة في إقامة المجتمعات المسلمة القادرة على مسيرة الحياة بما يريده اللَّه سبحانه.

فكما أن اللَّه سبحانه وعد دافعي الزكاة والمتصدقين في سبيل اللَّه تعالى أجراً وجزاءً عظيماً يوم يلقونه، يوم القيامة، كذلك توعَّد اللَّه سبحانه مانعي الزكاة بعذاب شديد، وقد أمر اللَّه سبحانه بإيتاء الزكاة واعتبرها من صفات المؤمنين الذين يؤمنون باللَّه تعالى.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

[سورة البقرة: الآية: ٣]

وقد قرن اللَّه سبحانه الصلاة في أكثر الآيات بالزكاة لما لها من أهمية اجتماعية عظمى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٤٣]

وبشَّر المؤمنين المقيمين للصلاة والمؤدين الزكاة:

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۞ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ .

[سورة النمل، الآيات: ١ ـ ٣]

ولقد وصف اللَّه سبحانه المشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة وتوعدهم بالويل يوم القيامة، إذ إن من أسوأ أمور الشرك أن صاحبه لا يؤدي الزكاة.

يقول تعالى: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآيتان: ٦، ٧]

ولقد توعد اللَّه سبحانه مانعي الزكاة بعذاب أليم:

﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

ومانع الزكاة يبدأ عذابه منذ لحظات الاحتضار وتتوالى عليه المخازي والمآسي والحسرات.. وتارك الزكاة كما يعذّب في قبره فإنه يعذّب في مواقف الآخرة على شدتها وتنوعها، ويعذّب في حسابه فيشدّد عليه.

عن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن اللَّه فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع

أغنياؤهم، ألا وإن اللّٰه يحاسبهم حساباً شديداً ويعذّبهم عذاباً أليماً».

[رواه الطبراني في الأوسط والصغير]

وقد صوَّر اللّٰه سبحانه في القرآن الكريم عذاب مانعي الزكاة وتوعدهم بشديد العذاب.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥]

- عن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق به عنقه، ثم قرأ علينا النبي ﷺ مصداقه من كتاب اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»[1].

أما عذابه في مواقف الآخرة: فكما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منهما حقهما إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار».

قيل: يا رسول اللّٰه فالإبل؟

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له، وكذلك رواه النسائي بإسناد صحيح.

قال ﷺ : « **ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها ـ إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، كلما مر عليها أولاها رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار** » .

قيل: يا رسول اللَّه، فالبقر والغنم؟ قال ﷺ :

« **ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** »(١) .

فالعذاب الذي يفرضه اللَّه سبحانه على مانعي الزكاة شديد جداً لا تحتمله أجساد ولا أنفس ولا عقول ولا قلوب. . ومنع الزكاة من الأمور التي يبغضها اللَّه سبحانه ويبغض أصحابها، فالبخيل بعيد من اللَّه بعيد من الناس قريب من النار عسى من قرأ هذه الأحاديث الشريفة وكان قد امتنع عن الزكاة أن يعود إلى أداء ما عليه من زكاة مال من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، ومن قبل. . . . أن يأتي الموت فيقول العبد: ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدَّق ولكن اللَّه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثالثاً: التاركون لفرض الصيام:

الصيام فرض من الفروض، تاركه عمداً وجحوداً كافر ولا أتصور أن تارك الصيام عمداً إلا تاركاً لفرض الصلاة والحج، فالعمد في ترك فرض يجر تلقائياً إلى ترك باقي الفروض على الأغلب.

... ولقد أفرد اللّه سبحانه آيات في القرآن الكريم تتحدث عن فرض الصيام. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٨٣]

ويقول تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٨٥]

ويكفي تارك فرض الصيام أن خسر جزاءً وأجراً عظيماً من اللّه سبحانه سيخصه للمؤمنين الصائمين في الدنيا.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه تعالى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**».

[رواه البخاري]

ويكفي أيضاً أنه حرم من الدخول من باب الريان أحد أبواب الجنة الذي خصه اللّه سبحانه للصائمين.

... فتارك فرض الصيام وهو مقتدر عليه له في هذا الموقف من محاسبة اللّه سبحانه عذاب أليم شديد.

رابعاً: التاركون لفرض الحج:

التاركون لفرض الحج عامدين متعمدين جاحدين، كتاركي

فرض الصلاة والزكاة والصيام عامدين متعمدين جاحدين فهم في حكم الكافر.

والحج أمر اللّه سبحانه وهو له، يقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٩٧]

فاللّه سبحانه يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾. ثم قال: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فلم يقل سبحانه: ومن تركه، فإن اللّه غني عن العالمين ولكن قال: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ وهذه إشارة من اللّه سبحانه أن من تركه فكأنه كفر.

ويقول تعالى في الحديث القدسي:

« **إن عبداً أصححت له بدنه وأوسعت عليه في الرزق، ثم لم يفد إليَّ بعد أربعة أعوام لمحروم** ». رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أبي الدرداء رضي اللّه عنه.

خامساً: آكلو الربا:

آكلو الربا ومانعو الزكاة توجد بينهما صلة ورابط، فهم أي آكلو الربا، في ذات الوقت مانعون للزكاة، فلا يمكن لإنسان يؤدي حق اللّه في ماله أن يقبل على نفسه أكل الربا، ولا يمكن لآكل الربا أن يدفع حق اللّه في ماله فهما صنوان، وعذاب الاثنين على مرأى ومسمع من الناس، ويا هول عذاب آكل الربا فإنه يحشر كالمجانين الذين يقومون ويقعدون ويتخبطون تخبط الذي مسه الشيطان بأذى وسوء فيكون أشبه بالمجنون الذي فقد عقله.

قال اللّه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى

يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٥]

ولذلك آكل الربا عذابه عظيم عند اللَّه، وربما رحمة اللَّه لا تشمل أمثال هؤلاء، لأن هؤلاء لم يكن ضررهم على أنفسهم إنما كان في حق العباد، فكم آذوا من أشخاص وكم شتتوا من أسر فنمت ثَرَواتهم على حساب هؤلاء الذين احتاجوا إليهم مضطرين، فهدّوا البيوت، وشردوا أصحابها، وبنوا قصورهم علىٰ أجسادهم، وسرقوا جهدهم، وعرقهم وعملهم، وتركوهم في ضياع، فحق علىٰ اللَّه أن يحشرهم يوم القيامة شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة، ثم يكونون كالمجانين يتخبطون في أرض المحشر ليس لهم راحم ولا شفيع.

ويكفي آكلو الربا إثماً وذنباً أن رسول اللَّه ﷺ اعتبر أكل الربا من السبع الموبقات.

يقول رسول اللَّه ﷺ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

. . . فأكل الربا من السبع التي توبق صاحبها وتوقعه في عذاب اللَّه يوم القيامة، وتكون من الأسباب التي تدخل النار زيادة على ما ذاقوه من عذاب على طول يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في السنن.

سادساً: مدمنو الخمر:

أولئك الذين عاشوا وماتوا ولم يتوبوا إلىٰ اللّٰه سبحانه وهم عصاة للّٰه سبحانه في شربهم للخمر.. وجميعنا يعلم أن اللّٰه سبحانه حرَّم الخمر تحريماً قطعياً وأنذر شاربها بالعذاب لمخالفته أمر اللّٰه سبحانه.. ذلك أن الخمر لها تأثيران سلبيان علىٰ الشارب في الحياة الدنيا فهي أولاً تنسيه ذكر اللّٰه وواجباتِه الشرعية، وتذهب عقله ثانياً، وقد تذهب بأسرته وتضيعها لضياع صاحب الأسرة وضياع ماله وإنفاقه على ما حرَّم اللّٰه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٩٠]

ورسول اللّٰه ﷺ قال في أكثر من حديث شريف: إنَّ شارب الخمر لا يكلِّمه اللّٰه سبحانه يوم القيامة ولا يزكيه ولا يدخله الجنة.

عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللّٰه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدَّيوث الذي يقر في أهله الخبث»[١].

عن عمر رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في السنن والحاكم في المستدرك.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر»(١).

لذلك فإن موقف شاربي الخمر وهم بين يدي الله، موقفٌ شاق أليم مهين، وهم محرومون من رحمة الله في ذلك الموقف، وقد توعَّدهم الله سبحانه ورسوله بحرمانهم من الجنة ودخولهم النار.

سابعاً: العاق لوالديه (العقوق):

لقد شدَّد الله سبحانه في كتابه الكريم على طاعة الوالدين والإحسان إليهما وكان ذلك قضاءه في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

[سورة الإسراء: الآية: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ١٥]

وقد أوجب الله سبحانه مصاحبتهما والإحسان إليهما، حتى لو طلبا منه الكفر، لكنه لا يجيبهما لطلبهما الظالم.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

[سورة لقمان، الآية: ١٥]

وكذلك نبَّه رسول الله ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة على طاعة الوالدين ووجوب الإحسان إليهما، ومن ثم أنذر المؤمنين بأن

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وهو صحيح.

اللَّه سبحانه أعدَّ للعاق عذاباً أليماً، وأنه محروم من رحمة اللَّه والجنة يوم القيامة لِمَا لطاعة الوالدين من أهمية عظمى.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»[١].

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»[٢].

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر إليهم اللَّه يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن للخمر، والمنان بما أعطى»[٣].

ثامناً: المتكبرون:

الكبر من أعظم الذنوب فهو جريمة كبرى في حكم اللَّه تعالى واللَّه سبحانه يبغض المتكبرين بغضاً شديداً ويبعثهم يوم القيامة بصورة ذليلة مهينة.

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٣٠٦٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك.

« يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان »(١).

روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال:

« أخنع اسم عند اللّه يوم القيامة، رجل تسمى ملك الأملاك » وزاد مسلم في رواية: (لا مالك إلا اللّه عز وجل)(١).

ورواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة بلفظ: **« أغيظ رجل على اللّه يوم القيامة، وأخبثه، وأغيظه عليه: رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا اللّه »**(٢).

قال القاضي عياض: أخنع: معناه أشد الأسماء صغاراً، وقال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء، كان من تسمى به أشد ذلاً(٣).

والمتكبرون أصناف عديدة يوم القيامة، ولا يشترط أن يكون المتكبر سيداً أو أجيراً أو غنياً.. بل منهم من كان فقيراً ولكنه مستكبر في فقره.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر »(٤).

وقد توعَّد اللّه سبحانه من يستكبر عن عبادته ودعائه جهنم.

---

(١) رواه الترمذي مشكاة المصابيح (٢/ ٦٣٥ برقم ٥١١٢).

(٢) سلسله الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٩١٤.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٨٩).

(٤) رواه مسلم والنسائي في السنن.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٦٠]

ومن المتكبرين الذين يسبلون إزارهم خُيَلاء وتِيهاً وتكبراً.

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:**

المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلّا منَّةً، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

[رواه مسلم وأحمد]

ويقول تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٦]

وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٢٣]

فمن استكبر فقد حلَّ عليه بغض اللَّه سبحانه وغضبه ومن يحلل عليه بغض اللَّه وغضبه فقد هوى.

تاسعاً: الغادرون وفضيحتهم:

الغدر ليس من شيم المؤمن ولا من مدرسة الأخلاق الحميدة التي تخرج منها المسلمون وأدّبهم بها القرآن الكريم وسنة رسول اللَّه ﷺ.

ولقد نبَّهنا اللَّه سبحانه أن لا نخون ولا نغدر ولا نعتدي في الدنيا حتى لو كان المعاهَد كافراً أو مشركاً، فالمؤمن الحق لا ينقض عهداً ولا ميثاقاً ولا يغدر بعهده ولا بذمته.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٦]

فهذا عهد للمشركين فكيف يكون حال العهد بين المسلمين جماعاتٍ أو أفراداً؟.. فاللَّه سبحانه لا يحب الغادرين الخائنين.. لذلك توعَّدهم يوم يلقونه بعذاب وذل وصغار ومهانة.. وكذلك فإن كلمة غادر تحمل معنى الذي يواعد على أمر ولا يفي به.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»(١). واللواء: الراية.

فكل غادر غدر في الدنيا ترفع له راية تكتب عليها غدرته لزيادة ذله وهوانه فيفضح بذلك أمام الناس وتجعل الراية خلفه عند استه مهانة وصغاراً.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة»(٢). استه ـ ثَقْب مؤخِّرته.

وترتفع الراية كلما كانت الغدرة كبيرة حتى يزداد الغادر فضيحة في هذا الموقف العظيم.

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ١٧٣٥.
(٢) رواه مسلم برقم ١٧٣٨.

ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة »[١].

وغدر أمير الجماعة أكبر بكثير من غدر أمير العامة لأنّ الضرر يتجاوزه إلى خلق كثير فيلحق بهم الأذى والضرر.

عاشراً: الغلول:

.. الغالّ الآخذ من الغنيمة في الخفاء تحت طمع وأَثَرة وضعف من الإيمان.. وقد توعد اللّه سبحانه الغالَّ بفضحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد عندما يُعرض الناس للحساب بين يدي اللّه سبحانه ويحمل ما غلَّ على رقبته يوم القيامة إمعاناً في الهوان والذل.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦١]

ومعنى الآية الكريمة أن الغَالَّ يأتي بما غلَّ يوم القيامة حاملاً ما غَلَّه على ظهره أو رقبته معذباً بما يحمل من حمله، وصوته المرعب فوق رقبته وذلك على رؤوس الأشهاد، فضيحة وهواناً وبياناً بما فعل وغَلَّ.

ومن الغلول غلول الحكام والعمال والموظفين والمديرين والولاة من الأموال العامة التي بين أيديهم.. ولقد بيَّن رسول اللّه ﷺ في أكثرَ من حديث شريف ما يلقاه الغالون عند الحساب والوقوف بين يدي اللّه سبحانه للعرض والحساب.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٦١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظَّمه، وعظَّم أمره، ثم قال:

« لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رأسه رقاع تخفق، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»(١).

وأخرج الطبراني في (معجمه الكبير) والبيهقي في (السنن) والحميدي في مسنده أن الرسول ﷺ استعمل عبادة بن الصامت على الصدقة، ثم قال له: **« اتق اللَّه يا أبا الوليد أن تأتي يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاه لها ثؤاج »**(٢).

وقد ساق ابن كثير في تفسيره الأحاديث المرهبة من الغلول، ومنها أحاديث غلول العمال من الصدقات، وساق حديث أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول اللَّه ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أُهدي لي.

---

(١) رواه الشيخان واللفظ لمسلم مشكاة المصابيح رقم الحديث(٣٩٩٥).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث(٨٥٧).

فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال:

«ما بال العامل نبعثه علىٰ عمل، فيقول: هذا لكم، وهذا لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيُهْدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»(١).

أحد عشر: صاحب الوجهين:

إن من شر الناس يوم القيامة، من كان له وجهان فيأتي بعض الناس بوجه وبعضهم الآخر بوجه آخر دليل نفاقه وكذبه وخداعه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٢).

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كان له وجهان في الدنيا كان له لسان من نار يوم القيامة»(٣).

اثنا عشر: المنان بما أعطى:

هذا الصنف من الناس يبغضه الله سبحانه وقد بيَّن جلَّ جلاله في كتابه الكريم سوء وفحش وأذى وضرر هؤلاء على الفقراء والمساكين.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم مشكاة المصابيح رقم الحديث ٤٨٢٠.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود.

وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ .

[سورة البقرة، الآيات: ٢٦٢ ـ ٢٦٤]

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ عقوبة المنان بما أعطى والذي يؤذي الناس بصدقته.

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مِنَّةً، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(١).

فتصور عقوبة الذين يمنون، عند وقوفهم بين يدي اللَّه سبحانه حيث يعرض عنهم، فلا يكلمهم ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، فكم خسر أولئك وكم ستضيع عليهم من رَحَمات، فلو سكتوا عن المنِّ لكان لصدقاتهم أجرعظيم وجنات تجري من تحتها الأنهار، فعسى من قرأ ما قلت وكان يمنُّ بصدقاته أن ينتهي عن فعله ويستغفر اللَّه سبحانه عن ما بدر منه.

ثلاثة عشر: غاصب الأرض:

حقوق العباد بعضهم على بعض كثيرة، ولكنَّ من الحقوق حقوقاً عظَّم اللَّه ورسوله أمرها فتكون يوم القيامة وبالاً على من اقترفها ومن جملة العقوبات التي يعذب ويهان فيها المعتدي غاصب الأرض.

ـ عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»(٢).

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده.

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق فتح الباري ٥/١٠٣.

أربعة عشر : الديوث والشيخ الزاني والمرأة المسترجلة :

الديوث: هو الذي يقر بأهله الخبث والزنى.

الشيخ الزاني: الذي يزني وقد بلغ من العمر سناً متقدمة.

المرأة المسترجلة: التي تتشبه بالرجال ـ لباسهم ـ عملهم ـ تصرفاتهم.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[(١)].

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ.

« ثلاثة لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»[(٢)].

والشيخ الزاني ـ له عذاب ومهانة عند اللّه سبحانه يوم القيامة عند الحساب والوقوف بين يدي اللّه، حيث أطال اللّه سبحانه بعمره كي يتوب ويرجع ولكنه بقي على عيبه وضلاله مرتكباً فاحشة الزنى وهو في مرحلة الشيخوخة، فبدلاً من أن يتوب ويرجع في آخر العمر يرجو رحمة ربه يزيد في فاحشة الزنى فيستحق العذاب والمهانة.

وما رأيك بالديوث؟ الرجل الذي يقبل على أهله الزنى من أم وزوجة وبنت ثم يموت على هذا ألا يستحق الذل والهوان يوم القيامة؟ . وكذلك المرأة التي خلقها اللّه سبحانه بأنوثة ونعومة خاصة ترفضها وتقلد الرجال في أعمالهم وتصرفاتهم ولباسهم، وما أكثرهن هذه الأيام.

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم.

خمسة عشر: الحاكم الذي يحتجب عن رعيته:

الحاكم ولّاه اللَّه سبحانه بأمره وقدرته وإرادته حكم الرعية، وأوجب عليه متابعة شؤونهم وأموالهم، فإذا ما احتجب عنهم دون أن يلتفت إلى مصالحهم ومطالبهم وخَلَّتهم وشؤونهم حجبه اللَّه يوم القيامة عن خلقه وحاجته عند اللَّه سبحانه.

- عن أبي مريم الأزدي قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من ولي من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب دون خَلَّتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجب اللَّه عنه يوم القيامة دون خَلَّته وحاجته وفاقته وفقره»[1].

ستة عشر: الذي يسأل الناس وعنده من الرزق ما يكفيه ويغنيه:

فالذي أغناه اللَّه سبحانه عن السؤال وأعطاه من رزقه ما يكفيه ويكفي من يعول، ثم يقوم يسأل الناس فإنه ناكر لفضل اللَّه ونعمته لا يكفيه ما أغناه اللَّه عن السؤال.. ومع ذلك يسأل الناس، لذلك يبعثه اللَّه يوم القيامة في وجهه خدوش وكدوش علامة مميزة له زيادة في ذله وهوانه.

- عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من يسأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوماً في وجهه...

قيل: يا رسول اللَّه، وما يغنيه؟

قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»[2].

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح. صحيح الجامع رقم ٦٤٧١.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٤٩٩).

وما أكثر هؤلاء في أيامنا حيث إن أناساً كثيرين في هذه الحال، وكم من الناس الذين يسألون الناس تبيَّن فيما بعد أنهم أغنياء ومالكون لكثير من الرزق؟ واللّه أعلم بهم وحسابهم يوم القيامة على اللّه تعالى.

سبعة عشر: الذين يكذبون في حلمهم ويستمعون للناس وهم لهم كارهون:

كثر أولئك الذين يكذبون ويدعون رؤية أحلام وما رأوْها، لأمر في نفوسهم من ادِّعاء وكذب وبيانِ فضل لهم..

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شَعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه، صب في أُذنيه الآنك يوم القيامة»[1].

ثمانية عشر: السحرة والعرَّافون:

لقد توعد اللّه سبحانه السحرة والمشعوذين عذاباً أليماً وذلاً وهواناً عند عرضهم على اللّه سبحانه وحسابهم.

يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٠٢]

---

(١) صحيح البخاري. فتح الباري(١٢ ـ ٤٢٧).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

أي ما لهم في الآخرة شيء من الخير أو قدر من الخير.

. . . لقد عظَّم رسول اللّه ﷺ أمر السحر والسحرة واعتبر الذين يذهبون إليهم على صنفين.

ـ عن بعض أمهات المؤمنين رضي اللّه عنهن قلن: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أَتىٰ عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(١).

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد»(٢).

هذا من أتى العراف أو الساحر فكيف بالساحر والعراف وما هي عقوبتهما عند لقائهما مع رب العالمين.

. . ويكفي السحر إثماً عظيماً أن رسول اللّه ﷺ جعله من السبع الموبقات.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّه الا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصَنات المؤمنات الغافلات»(٣).

تسعة عشر: أكل أموال اليتامى ظلماً:

لقد بيَّن اللّه سبحانه لنا في كتابه الكريم عظيم جريمة أكل أموال اليتامى ظلماً، وتوعدَه لآكلي أموالهم بالنار التي تملأ بطونهم وأجوافهم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده.

(٢) رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

يقول تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢]

ومعنى: ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي ظلماً عظيماً.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠]

وكذلك فإن أكل مال اليتيم من السبع الموبقات التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الذي تقدم برقم ثمانية عشر.

عشرون: التولي يوم الزحف (الجهاد):

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦]

وقد اعتبر رسول الله ﷺ أن التولي يوم الزحف في الجهاد من السبع الموبقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

واحد وعشرون: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات:

أمر مَشين وظلم أن يفتري الإنسان على المرأة المؤمنة الغافلة، ويقذفها بالزنى والحرام وهي بريئة من هذا القذف أو هذا الكلام، فإشاعة الفاحشة في المؤمنات الغافلات أمر غير هَيِّن عند اللَّه سبحانه، وهو من الأمور التي لا يعفى عنها لأنه يترتب عليها حقوق الآخرين، واللَّه سبحانه لا بد أن يعطي لكل ذي حق حقه يوم القيامة، وحق المؤمنة الغافلة عظيم عند اللَّه سبحانه والقاذف لتلك المرأة المؤمنة الغافلة سيلقى الهوان والعذاب يوم القيامة وله موقف الذل والمهانة عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ* يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

[سورة النور، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

وتعددت الآيات في هذا الخصوص ـ وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ اعتبر قذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات بالحديث المتقدم بالفِقْرة عشرين.

اثنان وعشرون: كتم العلماء لعلمهم واحتجابهم عن الناس:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي.

« ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار»[١] .

ثلاثة وعشرون: أصحاب الأيمان الكاذبة:

هؤلاء يشملهم غضب اللّه سبحانه يوم العرض عليه والوقوف بين يديه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٧٧]

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعته: لقد أُعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول اللّه يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[٢] .

أربعة وعشرون: جر الثوب استكباراً وخُيَلاء:

- عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» .

قلت: يا رسول اللّه، من هم؟ خسروا وخابوا.

قال: أعاده رسول اللّه ﷺ ثلاث مرات.

---

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/ ٤١٩).

قال: « **المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان** »[١].

- عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

« **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّه إليه يوم القيامة** »[٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

« **لا ينظر اللّه يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطراً** »[٣].

- عن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **الإسبال في الإزار والقميص والعِمامة، من جر منهما شيئاً تخيلاً لم ينظر اللّه إليه يوم القيامة** ». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وإسناده صحيح.

---

(١) رواه مسلم وأهل السنن وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم. مشكاة المصابيح رقم الحديث ٤٣١٢.

(٣) رواه البخاري ومسلم. مشكاة المصابيح (٢/ ٤٧٢) رقم الحديث ٤٣١١.

الأتقياء من المؤمنين وحالهم عند العرض على اللّه سبحانه وحسابهم

مدخل:

التقوى درجات كثيرة، وكلما زادت درجة تقوى المؤمن في الدنيا زاد عزه ومقامه رِفعة يوم القيامة، وكان في مأمن من الفزع والخوف ومنذ اللحظة الأولى لبعثه من قبره عند نفخة البعث وإحياء الموتى.

فاللّه سبحانه قال عن نفسه إنه ولي المؤمنين الصادقين الذين يؤمنون باللّه ويستقيمون ويعملون الصالحات. فهو وليهم في الدنيا ووليهم عند البعث ووليهم يوم القيامة على امتداده ووليهم يوم العرض عليه والوقوف بين يديه، ووليهم عند الحساب والميزان واستلام الصحف والمرور على الصراط، وفي جناته الخالدة هكذا وعد اللّه سبحانه ومن أصدق من اللّه وعداً؟ ومن أصدق من اللّه قيلاً؟ ومن أصدق من اللّه عهداً؟.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣]

ويقول تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٦٨، ٦٩]

فالأتقياء والأولياء والمؤمنون الصادقون لا يخافون يوم يخاف الناس ولا يفزعون يوم يفزع الناس.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣]

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي يبيِّن فيها اللَّه سبحانه صفاتهِ لأولئك الذين استقاموا كما أمر اللَّه سبحانه بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾.

[سورة طه، الآية: ١١٢]

ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيتان: ٢٠، ٢١]

ويقول سبحانه: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٢]

ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٨٢]

وقال رسول الله ﷺ:

ـ عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: قال تعالى: **«وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي»** ـ.

[رواه أبو نُعيم في الحِلية. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٧٤٢)]

... فإن أول ما يناله المؤمنون الصادقون من رب العزة الأمن والأمان فلا يحزنهم خوف ولا فزع... وللمؤمنين مراتب عظيمة في الموقف بين يدي الله سبحانه، وتظهر كرامة المؤمنين كلٌ حسب عمله وما قدمه في سبيل الله، فكل عبد مؤمن له كرامة وله علو في عمل قدمه ينجيه وينقذه ويجعله من أهل الكرم، على أن يكون صالحاً في بقية أعماله وطاعاته وعباداته، ولكنه برَّز في واحدة مما تعهد الله سبحانه بولايته من أجلها. كمن برَّز في فعله للصدقات، أو الذكر والتسبيح، أو المحافظة على الصلوات في المساجد، أو عرف وبرز في خدمته للناس، أو كان من أهل القرآن، أو كان من المحبين لحضور مجالس العلم والذكر... إلى كثير من الاحتمالات، ولكن قلت: أن يكون صالحاً في بقية أعماله

برز في واحدة مما وعد اللَّه بإكرام صاحبها إذا فعلها. كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.
[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

فربما يكون الذاكر للَّه قليلَ الحج ولكنه أدى فريضة الحج عندما كان مستطيعاً، وقد يكون قواماً في الليل كثير الصلاة ولكنه قليل الصيام إلا أداء ما عليه من شهر رمضان. وقلنا في البداية: التقوى والصلاح درجات، فإذا جمع العبد الكثير من كل هذا العمل الصالح الذي يحبه اللَّه سبحانه، ارتفع وعلا ووضع على رأسه تاج العز والوقار وكان في الدرجات العلا، وإن أول أهل الكرامات الواضحة وعلى طول يوم القيامة أولئك السبعة الذين ذكرهم رسول اللَّه ﷺ.. فهؤلاء ومن الحشر على أرض الموقف الذي يطول إلىٰ خمسين ألف سنة هم في ظل اللَّه ورحمة اللَّه وأمان اللَّه سبحانه.

فإلى هؤلاء جميعاً ونذكر من هم أهل الكرم والأمن والكرامة والعز والشرف والمقام الرفيع في الموقف بين يدي اللَّه سبحانه.

أولاً: السبعة الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله:

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليهِ وتفرقا عليهِ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه»(١).

(١) رواه البخاري. فتح الباري (٢/ ١٤٢).

... هذا الحديث الشريف واضح الكلمات بيِّن المعاني سلس الأسلوب يفهمه الجميع.

... هؤلاء السبعة يبتدئ ظلهم في ظل عرش الرحمن ومنذ اللحظة الأولى للحشر علىٰ أرض المحشر... وتستمر حالهم على هذا الإكرام إلى حين العرض على اللَّه والوقوف بين يديه للحساب، فإذا ما وقفوا كانت لهم الكرامة والوعد ورحمة اللَّه تعالى.

ثانياً: المتحابون في جلال اللَّه تعالى:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن اللَّه يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[(١)].

ـ عن معاذ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن المتحابين في اللَّه في ظل العرش**»[(٢)].

ـ عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: قال اللَّه تعالى: «**حقت محبتي على المتحابين، أظلهم في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظلي**»[(٣)].

ثالثاً: أهل الصلاة وعمار المساجد والمشاؤون إليها:

أهل الصلاة وعمار المساجد والمشاؤون إليها هم أهل الإيمان الحقيقيون، وقد وصفهم اللَّه سبحانه بأهل الإيمان والتقوى والورع، فهؤلاء لهم كرامة وأمن وتجاوز من اللَّه عن سيئاتهم أو ذنوبهم إن

---

(١) رواه مسلم. رقم الحديث ٢٥٦٦.

(٢) ـ رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن حبان والحاكم في مستدركه الجامع الصغير رقم الحديث (١٩٣٣).

(٣) ـ صحيح الجامع رقم الحديث (٤/ ١١٦) ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح.

وجدت أو وجد منها شيء.. لأن المساجد لا تعْمُر إلا بالقلوب المؤمنة الصادقة التقية فهؤلاء يُرفعون بدرجاتهم ويُحلّون بحلل الكرامة والعز وهم بين يدي اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٨]

ولقد امتدحهم اللّه سبحانه في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة، ومن يمتدحه اللّه سبحانه فقد فاز فوزاً عظيماً.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٢٢]

وقد وعدهم اللّه سبحانه بالفلاح والأجر العظيم يوم اللقاء لقاء اللّه سبحانه في هذا الموقف العظيم الذي يظهر فيه أهل الصلاة وأهل التقوى فترفع درجاتهم ويكونون في مأمن من الفزع والخوف.

يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ٢، ٣]

ويقول تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

[سورة النور، الآيتان: ٣٧، ٣٨]

والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً يبيِّن اللَّه سبحانه وتعالى فيها أهمية الصلاة وعظيم ثوابها وأجرها عند اللَّه سبحانه وتعالى.

... وأما في السنة النبوية الشريفة فقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ كذلك عظيم أجر وثواب الصلاة عند اللَّه تعالى، مفصِّلاً هذا الثواب كي يراه الإنسان أمامه يوم القيامة عند العرض علىٰ اللَّه سبحانه.

وكذلك فإن الأحاديث كثيرة في هذا الخصوص نذكر منها شواهد لنعلم جميعاً ما معنى الصلاة وإعمار بيوت اللَّه والمشي إليها في الظلمات حيث يصبح نورهم في وجوههم وبين أيديهم ومن خلفهم ينادون ربهم أن يتم عليهم نورهم.

ـ عن أنس وعن سهل بن سعد رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

«بشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلىٰ المساجد بالنور التام يوم القيامة»(١).

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ أن المؤمن إذا خرج من بيته إلى الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه اللَّه بها درجة وحطّ بها عنه خطيئة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء،

(١) رواه أبو داود والترمذي في السنن وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه اللّه بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد »(١) .

وكذلك بيَّن رسول اللَّه ﷺ فضل الرواح والغدو إلى المسجد وما أعد اللّه له في ذلك.

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ اللّه له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح »(٢) .

وكذلك بيَّن رسول اللَّه ﷺ أجر النوافل من سنن وقيام وصلاة الضحى.

- عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« من ركع ثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة »(٣) .

. . . بل ذهب رسول اللّه ﷺ إلى بيان عظيم، حيث بيَّن أن ركعتي الفجر أي سنة الفجر إذا أقامها المؤمن، فهي خير من الدنيا وما فيها.

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ:

« ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »(٤) .

فأي كرامة؟ وأي مقام؟ وأي فخر؟ سيصيب أهل الصلاة عند لقائهم رب العالمين؟؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث صحيح.

(٤) رواه مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي في السنن.

رابعاً: المتوكلون على الله سبحانه:

كم من الآيات الكريمة التي يحثنا الله سبحانه فيها على أن نتوكل عليه ويعد أن من يتوكل عليه فهو حسبه أي معينه وفي معيته.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾.

[سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣]

وكذلك بيَّن الله سبحانه أنه يحب المتوكلين ومن يحبه الله سبحانه فهو في ضمانه وأمنه في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]

وزيادة فإن الله سأل المتوكلين وهم متوكلون أن يستمروا ويحافظوا على توكلهم لمحبة الله سبحانه ذلك في عباده.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٦٧]

ويبشر الله سبحانه المتوكلين ببشرى عظيمة.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ * ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٨، ٥٩]

وكذلك أعلمنا الله سبحانه أن كل أمر عائد إليه، لذلك أمرنا أن نعبده ونتوكل عليه حق التوكل ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٢٣]

ويكفي المتوكلين على اللّه حق توكله أنه يرزقهم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً.

ـ عن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لو أنكم توكلون علىٰ اللّه تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً»[١].

وأما في الآخرة فالجزاء الأعظم والكرامة العليا والمقام الرفيع مع رسول اللّه ﷺ وصحبه الكرام ومع الصِّديقين والشهداء والعلماء وحسن أولئك رفيقاً.

حيث يدخلهم اللّه سبحانه جناتِه دون حساب مع الذين يدخلون الجنة بلا حساب إكراماً وإجلالاً لهم ولتوكلهم على اللّه سبحانه، وسيأتي الحديث الشريف في فِقْرة قادمة عندما نتحدث عن الذين يدخلهم اللّه سبحانه الجنة بلا حساب ومنهم المتوكلون على اللّه سبحانه.

خامساً: أهل الصبر والبلاء:

أهل الصبر هؤلاء هم الذين يصب عليهم الأجر يوم القيامة صباً، ويوفون جزاء صبرهم أجراً بلا حساب وكأن نهراً من الحسنات يصب عليهم صباً.

ولو رجعنا إلى آيات الصبر في القرآن الكريم لتبينَّا كم يحب اللّه الصابرين؟

وكم سأل اللّه سبحانه عباده المؤمنين أن يتصفوا بصفة الصبر وأن يتحلوا بها، وكذلك نجد في آيات اللّه سبحانه وعدَه للصابرين بالأجر العظيم الذي يلقى عليهم من دون حساب ولا سؤال، وتكون

---

(١) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

لهم العزة والكرامة في الوقوف بين يدي اللّه سبحانه، وهو أعلم بهم وبصبرهم حباً باللّه سبحانه وإيماناً بعلمه وبما ابتلاهم به في هذه الدنيا من مرض أو فقر، أو حرمان، أو جوع، أو آلام، أو ابتلاء من حاكم ظالم أو سيد متعسف أو ولي جائر أو من ظالم متجبر، فمن صبر كما أمر اللّه سبحانه كُتب من الصابرين الصادقين، وكان له الفضل العظيم عند اللّه سبحانه كما وعده واللّه لا يخلف وعده.. ويعاين العبد رحمة اللّه به جزاءَ صبره عند الوقوف بين يديه للعرض والحساب، وآيات الصبر كثيرة في القرآن وكثير فيها وعد اللّه سبحانه المؤمنين الصابرين أجراً عظيماً يوم يلقونه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

ويقول تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١١]

وقد جمع اللّه بين الصبر والتوكل، لأن الصابر هو المتوكل فينال أجر الاثنين.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٩]

وقد وعد اللّه سبحانه الصابرين أن يؤتيهم أجرهم مرتين. . . كل الناس ترجو من اللّه الأجر مرة واحدة، ولكن الصابرين يؤتون أجرهم مرتين.

يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٥٤]

ولقد وعدهم اللّه بالأجر والوفاء والعطاء من دون حساب.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٠]

. . . فأي مقام هذا المقام وأي أجر هذا الأجر اللّهم اجعلنا منهم ومن الصابرين المحتسبين أجرهم عند ربهم.

. . . ولكن لا ينال أجر الصابر إلا من صبر حقاً على البلاء الذي يبتلى به، من نقص من الأنفس والأموال والثمرات والرزق والمال والعافية، فليس الصبر أن أكون منعماً وأقول: أنا صابر، فالصبر صبر الامتحان والابتلاء والتوكل على اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧]

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «**إذا وجهت إلىٰ عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله، أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً وأن أنشر له ديواناً**»[١].

---

(١) رواه الترمذي في سننه وابن عدي في الكامل والديلمي في مسند الفردوس. حديث صحيح.

سادساً: أهل القرآن الكريم القارئون والحافظون العاملون به:

أهل القرآن الكريم في الدنيا والآخرة أهل اللّه وخاصته.

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن للّه أهلين من الناس أهل القرآن هم أهل اللّه وخاصته**».

[رواه أحمد وابن ماجه]

ويقول تعالى في الحديث القدسي:

«**من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي، أعطيته ثواب الشاكرين**».

[رواه ابن خزيمة عن أبي سعيد]

ويقول تعالى في الحديث القدسي: «**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**».

[رواه الترمذي عن أبي سعيد]

ويقول رسول اللّه ﷺ مبيِّنا أن كتاب اللّه أحق ما يأخذ الإنسان عليه أجراً يوم القيامة وفي الدنيا.

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب اللّه**».

[رواه البخاري]

عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من قرأ حرفاً من كتاب اللّه فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

وأما عظمة قارئ القرآن وحافظه فتظهر بعد الدخول إلى الجنة حيث يقال له بعدما نال من أجر عظيم.. الآن اقرأ كتاب

الله وارتق مع كل آية تحفظها لتكون في منزلة بقدر ما تحفظ.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه منه ».

[رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في السنن من دون كلمة (منه)]

ويكفي قارئ القرآن ومعلمه أنه من خير الناس في الدنيا ومن خيرهم في الآخرة.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه ».

[رواه البخاري]

سابعاً: أهل الصدقات المؤقتة والصدقات الجارية:

سيفاجأ أهل الصدقات المؤقتة والصدقات الجارية ما ينتظرهم عند ربهم عند اللقاء وعند العرض عليه وعند حسابهم، لما يرون عظيم ما أعد الله لهم من الأجر يوم القيامة يفوق التصور والخيال الإنساني!!

. . . في القرآن الكريم يبيِّن الله سبحانه أنه مالك خزائن السموات والأرض:

يقول تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٢١]

ـ وفي الحديث القدسي: يبيِّن سبحانه أن ملكه لا ينقص مهما أعطى خلقه وتكرَّم عليهم.

ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: « **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد**

واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر».

[رواه مسلم وابن حبان والحاكم]

ومع هذا الخير العميم الذي لا انقطاع له يسأل اللَّه سبحانه عباده في كتابه الكريم امتحاناً وابتلاء أن يقرضوه قرضاً حسناً. . . أي أن يدفعوا من أموالهم صدقات للفقراء المحتاجين في الدنيا، ووعدهم أن المكافأة والأجر والتعويض يوم القيامة سيكون عظيماً.

يقول اللَّه تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

ويقول تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٢]

ويقول سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ١٧]

ويكفي ما وعد الحق سبحانه أهل الصدقات من تعويض في الدنيا وفي الآخرة إلىٰ سبعِمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة تركها اللَّه سبحانه بعلمه وتقديره.

يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦١]

وأما أهل الصدقات الجارية فهؤلاء هم الذين يجري عليهم الأجر والثواب والحسنات وهم في عالم برزخهم الذي طال أو يطول إلىٰ مِئات السنين والأجر يكتب في كل يوم . .

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع منه أو ولد صالح يدعو له** » .

[رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده]

فالإنسان لا يدري كم يلبث في قبره ولا يدري كيف يسجل له هذا العمل فالتقدير من اللّه سبحانه، ولذلك سيفاجأ يوم القيامة بما له عند اللّه سبحانه من أجر حتى إنه كما جاء في حديث الطبراني في المعجم الكبير لا ينصب له ميزان.

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم البلاء يعني أهل البلاء والصبر ـ ولا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر، إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب اللّه لهم** » . رواه الطبراني في المعجم الكبير صحيح. والمرء في ظِلِّ صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فهو في ضمان اللّه وظله حتى يقف بين يدي اللّه للعرض عليه ثم يرى عظيم ما أعده اللّه له لصدقاته وإحسانه وكرمه . . فاللّه أكرم وأعظم وأرحم.

ثامناً: الشهداء في سبيل اللّه والمجاهدون:

هؤلاء هم من أجلِّ من يكرمهم اللّه سبحانه . . فهم أحياء عند

اللَّه مكرمين فرحين منصورين يرزقون ويأكلون وينعمون والناس أموات في برازخهم وقبورهم..

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١]

... فإذا كانت هذه حالَهم ولم تقم القيامة بعد فكيف حالهم يوم القيامة؟ وكيف حالهم عند العرض علىٰ اللَّه؟ وكيف حالهم إذا دخلوا الجنة.

ـ عن معدي كرب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«للشهيد عند اللَّه ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه»(١).

ـ عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«رباط يوم خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل اللَّه أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه برزقه وريح من الجنة، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه اللَّه»(٢).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«والذي نفسي بيده، لا يُكلم أحد في سبيل اللَّه، واللَّه أعلم بمن

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه. مشكاة المصابيح (٢/ ٣٥٨/ برقم ٣٨٣٤).

(٢) رواه الطبراني بإسناد صحيح. صحيح الجامع الصغير رقم ٣٤٧٣.

يُكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»(١).

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن خرج في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك»(٢).

تاسعاً: أهل الذِّكر والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ:

هذا الفضل فضل أهل الذكر والتسبيح والاستغفار سيظهر واضحاً جلياً يوم القيامة وعند العرض على الله سبحانه والوقوف بين يديه للحساب، والقرآن الكريم عظَّم شأن المستغفرين والمسبِّحين والذاكرين ومن كان في صلاة على رسول الله ﷺ.

... والدخولُ في عمق وفلسفة الذكر والتسبيح والاستغفار موضوعٌ طويل يحتاج إلى بحث خاص، فقد تعددت آيات القرآن الكريم في فضل وأجر المسبِّحين الذاكرين المستغفرين، إلى العشرات من الآيات الكريمة بل تجاوزت المِائتي آية قرآنية كريمة وكلها تتحدث عن المعاني القيِّمة والعظيمة لها جميعاً وتعد أصحابها بالأجر العظيم.

يقول تعالى في فضل الذكر والتسبيح: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: في فضل الاستغفار: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾

---

(١) رواه البخاري ومسلم. ويكلم أي يجرح أو يصاب في الحرب.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود بإسناد صحيح.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ١٥ ـ ١٨]

ولبيان فضل الاستغفار والذكر والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ نورد بعضاً من هذا الفضل والذي سوف يلقونه عند اللقاء مع اللَّه سبحانه.

فضل الاستغفار:

لقد جعل اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ للاستغفار شأناً عظيماً، وفضلاً كبيراً، وأجراً كريماً، وقد شمِل فضل الاستغفار الدنيا والآخرة، فلم يؤجل أجره للآخرة بل جعل اللَّه سبحانه ورسوله من أجر الاستغفار وفائدته وخيره نعيم المؤمن في دنياه، وأجَّل خيره وأجره العظيم إلى الآخرة لينعَم المؤمن بهذا الخير وهذا الأجر كنعمة توافق خلوده الأبدي.

والاستغفار بمعناه العام ومعناه الخاص، هو صلة وثيقة وحبل متين بين العبد وربه، والحبل المتين هو رضا رب العالمين، ومتى رضي اللَّه سبحانه على عبده فتحت له أبواب رحمة اللَّه كلها في الدنيا والآخرة.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من لزم الاستغفار جعل اللَّه له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

[رواه أبو داود وابن ماجه]

وهذا الحديث النبوي الشريف بيان واضح لمعاني الاستغفار وبيان أنه والدعاء واحد، فالإنسان يدعو ربه لضيق صدره وهمّ لزمه ورزق ضاق عليه.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر اللَّه الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر اللَّه له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا ». رواه أحمد والترمذي واللفظ له عن عبادة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كُتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة ».

[رواه الطبراني]

عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« طوبى لمن وُجِد في صحيفته استغفار كثير ». [رواه ابن ماجه]

وبيَّن الحديث التالي أن الاستغفار جزاؤه الجنة والغفران.

عن شداد بن أوس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« سيِّد الاستغفار أن تقول: اللَّهم أنت ربي، لا إلٰه إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ».

[رواه البخاري]

فضل ذكر اللَّه سبحانه:

الذكر بمعناه العام أن تستحضر عظمة اللَّه سبحانه في قلبك وأن تجعل لسانك رطباً به، وأن تدخل به إلى عقلك وقلبك فتخضعهما لقدرة اللَّه وجلاله وقوته ووحدانيته.

والذكر في حقيقة ماهيته عبادةٌ ودعاء واستغفار واستسلام

وتسليم واعتراف بنعم اللّه وآلائه وقدرته، وهو طريق للأجر والثواب، وهو القوة الكافية الكفيلة في تحريك قوة الإيمان.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٣]

ـ عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«أفضل الذكر لا إله إلا اللّه».

[رواه ابن ماجه وابن حبان والترمذي والنسائي]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا يقعد قوم يذكرون اللّه تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم اللّه فيمن عنده».

[رواه مسلم]

... فما رأيكم بهؤلاء؟ وكيف يكون لقاؤهم مع اللّه سبحانه وكيف سيكون فضلهم وأجرهم؟

ـ وعن أبي موسى رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«أبشروا وبشروا مَن وراءكم: أنه من شهد أن لا إله إلا اللّه صادقاً بها قلبه دخل الجنة».

[رواه أحمد]

ـ عن عبادة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه حرَّم اللّه عليهِ النار» أي نار الخلود وإلا فإن جماً غفيراً يشهد بذلك وهو من أهل المقحِمات إلى النار.

[رواه مسلم]

فضل تسبيح اللَّه سبحانه:

التسبيح ذكر للَّه سبحانه وتعظيم لجلاله وقوة تكسبها الذات البشرية، ولعظيم أمر تسبيح اللَّه سبحانه استفتح اللَّه سبحانه سبع سور من القرآن الكريم بكلمة التسبيح فمنها.

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ١]

وقال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[سورة الصف، الآية: ١]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه التسبيح والمسبِّحين وفضلهما في إحدى وتسعين آية كريمة من آيات القرآن الكريم، وفي هذا دلالة واضحة على مكانة التسبيح العظيمة عند اللَّه سبحانه ودليل أيضاً على أهميتها في عالم المسلم وحياته الدنيا.

ولقد تناول رسول اللَّه ﷺ فضل التسبيح وأثره العظيم في شخصية المسلم:

ـ عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن أحبَّ الكلام إلى اللَّه سبحان اللَّه وبحمده».

[رواه مسلم]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من قال: سبحان اللَّه وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

[رواه البخاري ومسلم]

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم ».

[رواه البخاري ومسلم]

فضل لا حول ولا قوة إلا باللَّه:

- عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ما علىٰ الأرض أحد يقول: لا إلٰه إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه إلا كفّرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ».

[رواه الترمذي]

فضل الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ أمر إلٰهي لجميع المؤمنين، وقد بدأ اللَّه جلَّ في علاه بها بنفسه، وثنَّى بملائكته في الصلاة علىٰ النبي، ثم أمر المؤمنين أن يصلّوا عليه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]

وقد فصَّلت السنة النبوية الشريفة كيفية الصلاة على النبي ﷺ وبيَّنت معانيها وأجرها العظيم، وأولها وأجلها وأعظمها مكانة شفاعة رسول اللَّه ﷺ لمن يصلي عليه يوم القيامة.

- عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة ».

[رواه الطبراني]

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة**».

[رواه الترمذي وابن حبان]

ـ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من صلّى عليّ واحدة صلى اللّه عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات**».

[رواه الحاكم والنسائي بمعناه وأحمد بدون (ورفع له عشر درجات)]

ـ عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من قال حين يسمع النداء: اللّهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللّهم مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيامة**». رواه البخاري والترمذي. اللّهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه، واجعلنا اللّهم بالصلاة عليه من الفائزين وعلى حوضه من الواردين وبسنته من العاملين، واجعله اللّهم لنا يوم القيامة من الشافعين.

عاشراً: التائبون الصادقون:

إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فمن تاب إلى اللّه سبحانه توبة نصوحاً معاهِداً ربهُ أنه لا عودة إلى معصية وإثم وفاحشة، وصدق في نيته وتوبته واللّه أعلم بنفوس خلقه وأعلم بمن تاب توبة نصوحاً... وتظهر عند اللّه سبحانه التوبة النصوح يوم اللقاء والعرض عليه.

... فإن كان العبد المؤمن صادقاً في توبته فإنه يرىٰ من اللّه سبحانه رحمةً قد تفوق كثيراً بعض أهل الموقف حيث تجد أن اللّه سبحانه قد أبدله جميع سيئاته حسنات.... فإذا قرأ التائب كتابه كما في

قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ يصاب أول ما يصاب بالفزع والهلع حيث يجد جميع ذنوبه موجودة في صحيفته ليراها ويتذكرها، ثم بعد ذلك يجد أن اللّه سبحانه أبدله بتلك السيئات حسنات كما وعد اللّه سبحانه.

بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

وهؤلاء هم الذين استجابوا لربهم في الدنيا فتابوا توبة نصوحاً فتظهر كرامتهم في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ولقد وعد اللّه سبحانه التائبين والمستغفرين من ذنوبهم عند توبتهم مغفرة منه وجنات تجري من تحتها الأنهار.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦]

أحد عشر: فضل العلماء وأهل العلم:

لقد رفع اللّه سبحانه في كتابه الكريم أهل العلم درجاتٍ كبيرةً جداً.

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

وقال تعالى مميزاً بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون أنهم لا يستوون عند اللّه سبحانه:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٩]

ولقد بيَّن رسول اللّه ﷺ في كثير من الأحاديث الشريفة فضل العلم والعلماء، وأجرهم وثوابهم عند اللّه سبحانه في الموقف وعند اللقاء مع اللّه سبحانه، وعند الحساب والميزان والصراط المستقيم والمقام الرفيع بإذن اللّه في جنات اللّه الخالدة.

ـ عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يقول اللّه تعالى للعلماء إذا جلس على كرسيه للقضاء: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي»(١).

ويكفي العلماء مقاماً وعزاً وسؤدداً وشرفاً أنهم من الشفعاء الذين يشفعون للناس يوم لا يأذن اللّه بالشفاعة إلا لمن ارتضى قولاً وعملاً.

ـ عن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»(٢).

ومَنْ غير العلماء والدعاة إلىٰ اللّه أحسن قولاً في الدنيا؟ فكيف لا يكونون أحسن قولاً في الآخرة ويقبل اللّه سبحانه شفاعتهم؟

---

(١) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٦: رجاله موثقون.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن وهو صحيح.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٣٣]

ويكفي العلماء ما خلَّفوه من علم وكتب ومؤلفات تقرأ أو يقرأها المسلمون أو الناس على العموم. . وكل علم تركه العلماء فهو صدقة جارية لهم منذ وفاتهم إلىٰ يوم القيامة.

قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**». رواه الإمام أحمد والبخاري في تاريخه عن أبي هريرة، فأي حسنات سيلقاها العالم وهو بين يدي اللَّه سبحانه وكم سيسعد عندما يقرأ كتابه الذي يخرجه اللَّه إليه.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٤]

وأي مقام عال هم فيه إن كانوا صادقين؟ وتعلموا وعملوا بما يرضي اللَّه سبحانه، ولا يشترط أن يكون العالم عالماً في الدين فحسب وإن كانوا هم في الدرجات الأولى، فكل عالم ومهما كان علمه إن كان يخدم البشرية ويرضىٰ اللَّه عنه، ويبتغي بعلمه رضا اللَّه ويجمع بين علم الدنيا مثلاً علم الكيمياء أو الفيزياء والجيولوجيا وعلم الفلك إلخ من العلوم، وعلم الآخرة. . لأن اللَّه سبحانه كما ورد في الحديث الشريف يبغض كل عالم في الدنيا جاهل في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن اللَّه يبغض كل عالم في الدنيا جاهل بالآخرة**»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، الجامع الصغير للسيوطي وقال: حديث حسن.

اثنا عشر: الذين يتجاوزون عن المعسرين ويضعون عنهم ويتصدقون:

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠]

وقال رسول اللّه ﷺ في فضل وأجر من ينظر معسراً أو يضع عنه في سبيل اللّه، من أجل أن يتجاوز اللّه عنه يوم القيامة كما تجاوز عن الناس ووضع عنهم ديونهم.

ـ عن أبي اليَسَر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله»(١).

عن أبي قتادة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من نفَّس عن غريمهِ أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»(٢).

وكذلك فإن الذين يدفعون الديون عن الغارمين: **«المديونين»** الذين ضاقت عليهم الأمور وعجزوا عن دفع ديونهم لهم إن شاء اللّه من الأجر مثل أولئك الذين تحدث رسول اللّه ﷺ عنهم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من نفَّس عن غريمه أو مما عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

«كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً تجاوز

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٣٠٠٦، وكذلك رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه أحمد والدارمي في المسند. صحيح الجامع الصغير رقم ١٤٥٢.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

عنه، لعل اللَّه أن يتجاوز عنا، قال: فلقيَ اللَّه فتجاوز عنه»(١).

وروى النسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل اللَّه يتجاوز عنا.**

فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أدين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل اللَّه أن يتجاوز عنا. قال اللَّه: قد تجاوزت عنك»(١).

وفي مستدرك الحاكم بإسناد صحيح عن حذيفةَ، وعقبة بن عامر، وأبي مسعود رضي اللَّه عنهم، عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**أُتيَ اللَّهُ عز وجل بعبد من عباده آتاه اللَّه مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا رب، إلا أنك آتيتني مالاً، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي أنْ أُيَسِّر على الموسر وأنظر المُعسر.**

قال اللَّه تعالى: «**أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي**»(٢).

ثلاثة عشر: الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خَلتهم ويصلحون بينهم:

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١١٤]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية العظيمة: يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾؛ يعني كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

(١) صحيح الجامع الصغير (٢/ ٢٠٤) رقم الحديث ٢٠٧٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير (١/ ٩٢) رقم الحديث ١٢٤.

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ؛ أي إلا نجوى من قال ذلك أي إلا من فعل ذلك من الخير في الصدقات والمعروف وإصلاح بين الناس.. كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن مردويه عن أم حبيبة قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر اللّه عز وجل أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر**».. وقال الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة والصدقة، قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه، قال: «إصلاح ذات البين»**. قال: «**وفساد ذات البين هي الحالقة**»، وكذلك رواه أبو داود والترمذي، وأما قوله: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ**﴾. أي مخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك عند اللّه عز وجل: ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ ؛ أي ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً.

... وأين يظهر هذا الثواب الجزيل.. إنه يظهر للعبد عند العرض على اللّه سبحانه والوقوف بين يديه للحساب.

... أتعلمون لماذا هذا الأجر العظيم؟.. ذلك أن الإنسان في فعله هذا يرتفع عن الأنانية، ويكون من الذين يؤثرون على أنفسهم، حتى لو كان بهم حاجة، وهذا دليل نقاء وصفاء القلب المؤمن وطيبه، وهذا ما يحبه اللّه في عبده.

... فما أعظم أن يسعى العبد في الدنيا في تفريج كربات المكروبين ومساعدة المحتاجين والتيسير علىٰ المعسرين وإقالة عثرات النادمين الزالين.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة،**

ومن ستر مسلماً ستره اللّٰه في الدنيا والآخرة، واللّٰه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١] .

أربعة عشر : فضل عتق الرقاب المسلمة :

ـ عن عمرو بن عَبَسة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« من بنى مسجداً ليذكر اللّٰه فيه يبنِ اللّٰه له بيتا في الجنة، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة » .

[رواه الإمام أحمد]

ـ عن أبي نجيح قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول:

« أي مسلم أعتق رجلاً مسلماً فإن اللّٰه جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار، وأي امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن اللّٰه جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظام محررتها » .

[رواه ابن جرير في تفسيره]

قال عمرو بن عبسة رضي اللّٰه عنه: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول:

« من أعتق رقبة مسلمة كانت فَكاكه من النار عضواً بعضو، ومن شاب شيبةً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل » . رواه أحمد، وروى أبو داود والنسائي بعضه. . . وهكذا نجد أن عتق الرقاب من الأعمال التي تمكن صاحبها من اقتحام العقبات الشاقة والشديدة يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ .

[سورة البلد، الآيات: ١١ ـ ١٣]

---

(١) صحيح مسلم. مشكاة المصابيح رقم الحديث ٢٠٤.

خمسة عشر : فضل قيام الليل :

قيام الليل شرف المؤمن في دنياه ونور له يوم القيامة، إذ يدخل في محبة اللّه ورسوله، ويدخل فيمن امتدحهم اللّه سبحانه وجعلهم من خُلَّص عباده، ولهم المقام الرفيع عند اللقاء مع اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

قال رسول اللّه ﷺ: عن سهل بن سعد وعن جابر وعن علي رضي اللّه عنهم قالوا: قال رسول اللّه ﷺ:

«أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامهُ بالليل، وعزَّهُ استغناؤه عن الناس»(١).

وكان رسول اللّه ﷺ لا يدع قيام الليل أبداً.

عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ:

«كان لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كَسِل صلىٰ قاعداً»(٢).

(١) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وهو صحيح.

إن أهل الليل الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع في الليل أي لا يداومون على النوم ولا يستلذون به بقدر لذتهم إذا قاموا إلىٰ عبادة اللَّه في الليل والناس نيام... لا يعلم أحد ما أخفي لهم من أجر وثواب وهناء وسرور وقرة أعين بما تَقَرُّ به عيونهم ويسعدون به أيما سعادة.

ستة عشر: فضل الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس مرضاة للَّه سبحانه:

إن من أعلى درجات الخلق الرفيع التي تستوجب القرب من رسول اللَّه ﷺ كظمَ الغيظ والعفو عن الناس عند المقدرة.

يقول تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

فالإنسان في حياته الدنيا يتعرض لكثير من مواقف تثير غضبه ويكون مقتدراً على الرد، ولكن منهم من يكتم هذا الغيظ الذي يفور من صدره امتثالاً لأمر اللَّه، وليس ضعفاً منه أو خوفاً ممن أهانه أو لا يستطيع الرد لظروف، المهم أن يكون العمل للَّه سبحانه وتنفيذاً لأمره سبحانه في كتابه.

ـ عن سهل بن معاذ بن جبل عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفِّذه دعاه اللَّه سبحانه علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره في أي الحور العين شاء »(١).

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود، مشكاة المصابيح رقم الحديث ٦٣٩.

سبعة عشر: التائبون الصادقون الذين يبدِّل اللَّه سيئاتهم حسنات:

هؤلاء تشملهم رحمة عظيمة من اللَّه سبحانه في ذلك الموقف العظيم بين يدي اللَّه سبحانه، فإذا كانت توبتهم نصوحاً صادقين فيها، بدَّل اللَّه لهم سيئاتهم حسنات تضاف إلى حسناتهم التي فعلوها بعد توبتهم فيأتون اللَّه بجبل من الحسنات بعد أن بدَّل اللَّه سبحانه لهم سيئاتهم حسنات.

يقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠، ٧١]

هذا وعد من اللَّه سبحانه في كتابه الكريم لأهل المعاصي والذنوب، أنهم إذا تابوا وعادوا ورجعوا إلى اللَّه سبحانه، معاهدين مخلصين تائبين ومستغفرين أن يمن اللَّه عليهم ويعفوَ عن كبائرهم وصغائرهم بل يبدِّلها لهم حسنات، فأي كرم إلٰهي هذا الكرم؟ وأي رحمة هذه التي تشمل التائبين، ألم يقل اللَّه في كتابه وهو ينادي المسرفين علىٰ أنفسهم من أهل المعاصي والذنوب أن لا يقنطوا من رحمة اللَّه إنه يغفر الذنوب جميعاً؟

يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا

عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول يارب: قد عملت أشياء لا أراها ههنا، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[1].

ثمانية عشر: فضل الدعاة إلى الله والخطباء والواعظين والمؤذِّنين:

إنْ صَدَق هؤلاء جميعاً في دعوتهم إلى اللَّه سبحانه وفي وعظهم ودروسهم وخطبهم وحثهم الناس على طاعة اللَّه تعالى فهم من أفضل الناس عند اللَّه سبحانه يوم القيامة.

وعلى الداعي والواعظ والخطيب أن يكون القدوة في درسه وخطبته لا أن يكون كما قال تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصف، الآية: ٢]

فلذلك هؤلاء مسؤولون عن دعوتهم إلى اللَّه تعالى، فإن كان كاذباً أو يقول شيئاً ويفعل ما يخالفه فإنه من المرائين الذين يسحبون إلى جهنم أول الناس كما تقدم في الحديث.. وأما إن كان من الدعاة الصادقين الذين يعملون الصالحات فهؤلاء أحسن الناس عند اللَّه سبحانه، ولهم من الأجر في دعوتهم ما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه وهم في رعايته يوم القيامة وعند العرض عليه وفي دخولهم الجنة.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٣٣]

فلم يفضِّل اللَّه سبحانه عليه أحداً من الخلق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؛ أي هو أحسنهم.. لأن الداعي الصادق والواعظ الصادق والخطيب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

الصادق لا بد أنه من أهل الصلاة والصيام والزكاة والحج ومن أهل النوافل إذ لا يجتمع مع صدق الدعوة إلا العمل الصالح الذي يشمل العبادات فروضها ونوافلها. . . وللعلم ما من خطيب أو واعظ أو إمام إلا وسيقف بين يدي اللّٰه وهو سائله عن وعظه وخطبه وما أراد بها.

ـ عن مالك بن دينار عن الحسن رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«ما من عبد يخطب خطبة إلا اللّٰه عز وجل سائله عنها، أظنه قال: ما أراد بها؟»(١).

فكان مالك بن دينار رضي اللّٰه عنه إذا حدَّث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع، ثم يقول: تحسبون أن عيني تقرّ بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن اللّٰه عزّ وجلّ سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به؟

فهنيئاً لمن صدق في دعوته ووعظه وإمامته في الصلاة إن كان مخلصاً وصادقاً وعاملاً للصالحات، فإن ما ينتظره من اللّٰه أعظم بكثير مما يتوقعه لأن فضل اللّٰه كان على هؤلاء عظيماً وهم يدعون إليه في الدنيا بقلوب مخلصة وعمل صادق لا يبتغون فيه الأجر إلا من اللّٰه سبحانه.

. . . وأما عن فضل المؤذنين. . فيكفيهم فخراً وعزاً أنهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، وهذا دليل رضا اللّٰه سبحانه.

ـ عن معاوية بن أبي سفيان رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»(٢).

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا مرسلاً بإسناد جيد.

(٢) صحيح مسلم. رقم الحديث ٣٨٧.

. . . والمؤذِّنون يشهد لهم كل شيء في ذلك اليوم سمع صوته عندما كان يرفع صوته بالأذان في الدنيا.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الرحمن بن صعصعة: « **إني أراك تحب الغنم في البادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذَّنت فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذِّن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة** »(١).

تسعة عشر: الذين يشيبون في الإسلام:

يكون الشيب نوراً لصاحبه إذا كان مسلماً صادقاً صالحاً مات على طاعة اللَّه سبحانه في يوم القيامة، كما صحت بذلك الأحاديث، ففي سنن الترمذي والنسائي عن كعب بن مرة أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« **من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة** »(٢).

وفي مسند أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن حبان عن عمرو ابن عبسة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **من شاب شيبةً في سبيل اللَّه كانت له نوراً يوم القيامة** »(٣).

وروى البيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة** »(٤).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « **لا تنتفوا**

---

(١) صحيح البخاري. فتح الباري (١٣/ ٥١٨).
(٢) صحيح الجامع الصغير: (٥/ ٣٠٤)، ورقم الحديث: ٦١٨٣.
(٣) صحيح الجامع الصغير: (٥/ ٣٠٤)، ورقم الحديث: ٦١٨٤، والحديث صحيح.
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/ ٢٤٧)، ورقم الحديث: ١٢٤٣.

الشيب، فإنه نور يوم القيامة، من شاب شيبة في الإسلام كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة».

[رواه ابن حبان بإسناد حسن][1].

وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب عن فَضالة بن عُبيد قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«الشيب نور في وجه المسلم، فمن شاء فلينتف نوره»[2].

عشرون: فضل الوضوء والطهارة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٢٢]

فالذين أقاموا الصلاة وأتوا بالوضوء كما أمر اللّه سبحانه ورسوله ﷺ يُدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء»[3].

غراً: لمعة بيضاء تكون في الجبهة ـ محجلين: المراد بها هنا النور في الأيدي والأرجل من آثار الوضوء...

ـ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«تبلغ الحِلية من المؤمن حيث بلغ الوَضوء».

وبهذه الحلية النورانية تتميز هذه الأمة يوم القيامة، وبها يعرف الرسول ﷺ أمته من بين الخلائق، لا فرق بين أصحابه وغيرهم، ففي

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/ ٢٤٧)، ورقم الحديث: ١٢٤٤.

(٣) رواه مسلم.

صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ أتى مقبرة فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، ودِدت أنّا قد رأينا إخواننا»**.

قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول اللَّه؟

قال: **«أنتم أصحابي، إخواننا الذين لم يأتوا بعد»**.

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول اللَّه؟

قال: **«أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بُهم، ألا يعرف خيله؟»**.

قالوا: بلى يا رسول اللَّه.

قال: **«فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض»**(١).

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك».

فقال رجل: يا رسول اللَّه، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟

قال: **«هم غرٌّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم»**(٢).

---

(١) مشكاة المصابيح: (١/ ٩٨)، ورقم الحديث ٢٩٨.

(٢) مشكاة المصابيح: (١/ ٩٩)، ورقم الحديث ٢٩٩.

واحد وعشرون: العادلون في حكمهم على ما ولوا من أهلهم والرعية:

هؤلاء إن صدقوا فإن اللَّه سبحانه أعدَّ لهم منابر من نور يوم القيامة يجلسون عليها عن يمين الرحمن.

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور، عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

(١) رواه مسلم. صحيح الجامع الصغير (١/ ٩٢) رقم الحديث ١٢٤.

الفصل الرابع

الحساب الفردي وأنواع الحساب للمؤمنين

أولاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

١ ـ المتوكلون على اللَّه سبحانه.

٢ ـ القائمون الليل.

٣ ـ قارئ القرآن ابتغاء وجه اللَّه تعالى، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وبين مواليه.

٤ ـ العلماء العاملون.

٥ ـ الشهداء والعافون عن الناس.

٦ ـ الحمادون في السراء والضراء، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه تعالى.

ثانياً: الحساب اليسير والحساب العسير:

ـ الحساب اليسير.

ـ الحساب العسير.

ثالثاً: مناقشة المرائين وافتضاح أمرهم.

رابعاً: عرض اللَّه سبحانه ذنوب عبده عليه.

خامساً: معاتبة اللَّه تعالى عبده فيما وقع منه من تقصير.

سادساً: المصوِّرون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

سابعاً: صفة أنعم أهل الدنيا وأشد الناس بؤساً.

ثامناً: تمثّل الأعمال خيرِها وشرها وكل بصورة مناسبة.

الحساب الفردي وأنواع الحساب للمؤمنين

أولاً

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

وأول الكلام. . . اللَّهم ألحقنا بهم وأدخلنا في زمرتهم وما ذلك على اللَّه بعزيز. . . والذين يدخلون الجنة بغير حساب على أصناف متعددة من الأعمال متفاوتة المراتب. . وجميعهم المؤمنون العاملون الصادقون كل حسب ما يسَّره اللَّه سبحانه في الدنيا له من عمل فأخلص فيه وابتغى وجه اللَّه سبحانه، وقد قدَّمت عن هذه الأصناف الذين يختصهم اللَّه سبحانه بالفعل والخير عند لقائه والعرض عليه.

فمن هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب؟ وكم عددهم؟ وما هي صفاتهم؟

١ ـ المتوكلون على اللَّه سبحانه:

روى البخاري في صحيحه: باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. ثم أسند إلى ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر ومعه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد ـ أي أشخاص ـ كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ فقال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير، فقال جبريل: هؤلاء أمتك،

وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

[رواه البخاري]

وروى الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً**».

فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: فرأيت أن ذلك آتٍ علىٰ أهل القرى ومصيبٌ من في حافات البوادي..

[رواه الإمام أحمد]

وروى أيضاً الإمام أحمد عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً**»[1].

وروى الطبراني عن عتبة بن عبد السلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفِّع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حَثَيات، فكبَّر عمر، وقال: إن السبعين الأول يشفعهم اللَّه تعالى في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم، وأرجو أن يجعلني اللَّه في إحدى الحثيات الأواخر**». وروى الطبراني عن عتبة بن عبد السلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح.

حثيات، فكبَّر عمر، وقال: إن السبعين الأول يشفعهم اللّه تعالى في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم، وأرجو أن يجعلني اللّه في إحدى الحثيات الأواخر».

٢ ـ القائمون الليل:

ـ عن أسماء بنت يزيد رضي اللّه عنها عن رسول اللّه ﷺ قال:

«يحشر الناس في صعيد واحد فينادي مناد فيقول: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس إلىٰ الحساب».

[رواه البيهقي]

٣ ـ قارئ القرآن ابتغاء وجه اللّه تعالى وعبد أحسن ما بينه وبين ربه:

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم حساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه اللّه تعالى، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه».

[رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن]

٤ ـ العلماء العاملون:

ـ عن ثعلبة بن حكم رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يقول اللّه عز وجل للعلماء (أي العاملين) يوم القيامة: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان منكم ولا أبالي»[١].

ـ وعن أبي موسى رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

«يبعث اللّه العباد يوم القيامة ثم يميّز العلماء فيقول: يا معشر

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات.

العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذِّبكم اذهبوا فقد غفرت لكم »[١].

٥ ـ الشهداء والعافون عن الناس:

وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعو سيوفهم على رقابهم تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء يرزقون، ثم نادى مناد: ليقم من أجره علىٰ اللّه فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقم من أجره على اللّه فليدخل الجنة، قيل: ومن ذا الذي أجره على اللّه؟ فقال ﷺ: العافون عن الناس، ثم نادى الثالثة: ليقم من أجره على اللّه فليدخل الجنة فقام كذا وكذا ألفاً فدخلوها بغير حساب ».

[ترغيب المنذري]

٦ ـ الحمادون في السراء والضراء، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه تعالى:

روى البيهقي في: « **الشعب** » وابن مردويه وابن أبي حاتم وغيرهم ـ عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قال رسول اللّه ﷺ:

« يجمع اللّه الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي: أين الذين كانوا يحمدون اللّه في السراء والضراء؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، فيعود فينادي: أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب »[٢].

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير.
(٢) تفسير ابن كثير والدر المنثور في تفسير سورة النور.

ثانياً

الحساب اليسير والحساب العسير

١ ـ الحساب اليسير:

هم الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم على الأغلب المؤمنون الصادقون من عموم المؤمنين من غير تلك الأصناف التي ذكرت، وهم سواد كثير وأعداد كثيرة فليس كل المؤمنين علماءَ وقراء وشهداء وقوامين بالليل، ولكن منهم من كان له عمله في الدنيا وقد حافظ على طاعته وصلاته وصيامه وحجه وزكاته ومات على ذلك، فهو إن شاء اللَّه من الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، فهؤلاء يحاسبون حساباً يسيراً بلا مناقشة ولا تشديد، وإنما تُعْرض أعمالهم عرضاً ثم يتجاوز اللَّه سبحانه عن سيئاتهم ويغفرها برحمته.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ٩]

ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من نوقش الحساب عذّب».

وفي رواية: **«من حوسب عذّب»** أي من حوسب حساب مناقشة وتشديد وتفتيش عذّب لا محالة.

قالت عائشة رضي اللَّه عنها: فقلت: يا رسول اللَّه، أليس قد

قال اللَّه عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال ﷺ: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، ومن نوقش يوم القيامة عذّب**»[(١)].

وفي تعليق حسن للعلامة الخازن يقول فيه: الحساب اليسير هو أن يُعرض على العبد أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويُتجاوز عن المعصية. فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له: لمَ فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر فيه ولا حجة له فإنه حتى لو طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاث من كن فيه حاسبه اللَّه حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته**».

قالوا: وما هي يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي؟ قال: «**تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة**»[(٢)].

٢ ـ الحساب العسير:

إن هناك صنفاً يحاسبون حساباً عسيراً مناقشة وتدقيقاً فهؤلاء يهلِكون ويعذبون كما قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من نوقش الحساب عذّب**»وهو كما وصفه تعالى بسوء الحساب.

﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾. [سورة الرعد: الآية: ٢١]

فالآية وصف للمؤمنين الصادقين الذين يخافون: «**سوء الحساب**» أي إن هناك سوء حساب منذر بشدته وقوته ودقة مناقشته من

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والبزار والحاكم وصحح إسناده.

اللّٰه سبحانه. . فكما أن اللّٰه سبحانه يغفر ويعفو عن المؤمنين ويتجاوز عن ذنوبهم ويرحمهم ويدنيهم منه كذلك فإنه سبحانه يدقق ويفتش في الحساب على آخرين من أهل المعاصي والكبائر والذنوب العظام.

. . . فكم من المسلمين ماتوا ولم يؤدوا فروضهم من صلاة وصيام وزكاة وحج؟ وكم من المسلمين ماتوا وهم أهل كبائر من زنىً وربا وأكل مال اليتيم، والاعتداء وسوء الخلق وقلة الخير حيث لم يقروا معروفاً ولم ينهَوا عن منكر؟ وكم منهم منافقون ومداهنون وكاذبون، كانوا يسعون إلى جمع المال، وإلى السعي وراء شهواتهم وملذاتهم لا يرعون حرمة للّٰه سبحانه ولا خوفاً. . وكم من النساء العاريات الكاسيات المائلات المميلات، قَيْنات وصاحبات معازف وغناء وطرب سعين وراء أحلامهن وشهرتهن وشهواتهن فضللن وأضللن كثيراً من الرجال والشباب؟ وكم من النساء الكاذبات الخادعات الماكرات اللواتي أوقعن بين الرجال؟ وكم منهن كن يحلفن الأيمان الكاذبة. . وكم من النساء كن صاحبات فتنة وغيبة؟ وكم من النساء كن يسخرن من الأخريات؟ وكم من النساء اللواتي كن يسعين فقط إلى زينتهن ولباسهن، وما يضعن على وجوهن من زينة ويضربن بأرجلهن ليعرفن في الأرض؟ فليس كل المسلمين مسلمين ولا كل المؤمنين مؤمنين بما يحمل الإسلام والإيمان من معاني، على المؤمن المسلم أن يلتزم بها وإلّا ضاع منه الإيمان كالحياء الذي إذا خلعه الناس ذكوراً أو إناثاً عن وجوههم وارتكبوا من المعاصي ما يندى له الجبين حياءً وعاراً. . وكثير من النساء اللواتي يحاسبن حساباً شديداً على ما خلعن من ثيابهن وأغوين وكن سبباً في إغواء الرجال ووقوعهم تحت المعصية والكبائر والذنوب والفواحش.

يقول رسول اللّٰه ﷺ:

«وقفت على باب النار فوجدت أكثر أهلها النساء، ووقفت على باب الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء».

ذلك في رحلة الإسراء والمعراج حيث أراه اللّٰه سبحانه وهيأ له كيف يكون أكثر أهل النار النساء وأكثر أهل الجنة الفقراء.

.. فأهل الحساب العسير هم الذين ماتوا ولم ينتهوا عن الفواحش والكبائر فجاؤوا ربهم بها يوم القيامة مع ذنوبهم الصغار... إذاً إن الذنوب الصغار تمحى ويغفرها اللّٰه سبحانه إذا اجتنب صاحبها الكبائر، أما إذا لم تجتنب فتبقى في صحيفة الأعمال لا تغفر، فتوبقهن مع الكبائر ودليل ذلك أن اللّٰه سبحانه عندما يعطي الناس كتبهم ليقرؤوها يقول الكافرون والمنافقون والعصاة وأهل الكبائر: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

وكم من الناس من صنف الآية الذين قالوا: يا ويلَ من طغى وبغى وظلم وتجبر واعتدى علىٰ الناس وعلى حقوقهم؟؟

وقد توجّه اللّٰه سبحانه بالخطاب إلى عباده في الدنيا لو أنهم تركوا الكبائر لعفا عنهم وغفر لهم.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٣٧]

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٣]

.. ومن قبلُ دعاهم ربهم في الدنيا إلىٰ التوبة وترك بابها مفتوحاً طوال حياتهم علهم يرجعون أو يعودون عن كبائر ذنوبهم وفواحشهم لكنهم لم يعودوا.

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٥]

... وطالما أنهم لم يفعلوا وما فعلوا، فاليوم حسابهم حساب شديدٌ عسير لا يسر فيه، يناقشهم اللّه سبحانه في أعمالهم عملاً عملاً وقولاً قولاً صغيراً كان أو كبيراً.

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ قال:

« **ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** »، فقلت: يا رسول اللّه، أليس قد قال اللّه تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟

[سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨]

فقال رسول اللّه ﷺ:

« **إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك** »[(١)].

قال ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: « **إنما ذلك العرض** » قال:

إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعلم: « **مِنَّةَ** » اللّه عليهِ في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق، فتح الباري (١١/ ٤٠٠)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٤) واللفظ للبخاري.

وقال النووي في شرحه للحديث: معنى نوقش الحساب: أي استقصي عليه.

وقال القاضي عياض: : «**عُذّب**» له معنيان.. **أحدهما**: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب بما فيه من التوبيخ، **والثاني**: أنه مفضٍ إلى العذاب بالنار.. ويؤيد قوله في الرواية الأخرى: «**هلك**» مكان عُذّب. هذا كلام القاضي.. وقال النووي: ومعناه أن التقصير غالب في العباد في مَنْ استُقصي عليه، ولم يسامح هلك ودخل النار.. ولكن اللّه تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء، وهذا أيضاً يكون من حسن الظن باللّه تعالى أنه الغفور الرحيم الذي يتجاوز عن عباده.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه عز وجل**»(١).

وزاد ابن أبي الدنيا على هذه الرواية: فإن قوماً قد أرداهم سوء الظن باللّه عز وجل»، فقال لهم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٣]

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثالثاً

مناقشة المرائين وافتضاح أمرهم

إن المرائي الذي كان يفعل رئاء الناس ظاهراً، وله في باطنه أمر آخر ولم يكن يبتغي في عمله وجه اللّه سبحانه بل كان يبتغي الدنيا ومديح الناس.

... هؤلاء يعرضون على اللّه سبحانه واللّه مطلع على ما في قلوبهم وصدورهم، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

فظاهر أعمالهم وريائهم ليس بخاف على اللّه سبحانه، يومئذ يفضحون وينكشف ما غطوا به أنفسهم من المراء والكذب فتظهر صدورهم واضحة جلية أمام اللّه سبحانه الذي لا يخفى عليه السر في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض.

عن شُفَي بن ماتع الأصبحي رحمه اللّه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليهِ الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أسألك بحق وحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول اللّه ﷺ عقَلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللّه ﷺ، عقلته وعلمته، ثم

نشغ أبو هريرة نشغة، فمكث قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللّه ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللّه ﷺ، أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خاراً علىٰ وجهه، فأسند طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدثني رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل اللّه، ورجل كثير المال، فيقول اللّه للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول اللّه له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول اللّه له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.**

ويؤتى بصاحب المال، فيقول اللّه: ألم أوسع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول اللّه له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول اللّه: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقيل ذلك.

ثم يؤتى بالذي قتل في سبيل اللّه، فيقول اللّه: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول اللّه له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول اللّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول اللّه ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق اللّه تُسعّر بهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان المدائني: فأخبرني عقبة بن مسلم: أن شُفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا.

قال أبو عثمان: وحدَّثني العلاء بن أبي حكيم: أنه كان سيَّافاً لمعاوية، فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هكذا، فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله إذ يقول:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

[سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦]

ـ عن سليمان بن يسار قال: تفرّق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناقل أخو أهل الشام: أيها الشيخ حدّثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال:

نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار... ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال:**

(١) رواه الترمذي في صحيحه.

فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار، . . ورجل وسّع اللّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ورواه النسائي.

رابعاً

عرض اللّه سبحانه ذنوب عبده عليه

صحيح كما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن اللّه سبحانه يحاسب المؤمن حساباً يسيراً ويتجاوز عنه إلا أن اللّه سبحانه يعرض عليه ذنوبه التي ارتكبها في الدنيا ويغفرها له. ذلك ليعلم فضل اللّه عليه وكرمه ورحمته ليعيش في هذه الرحمة وهذا الكرم وهذا الفضل الخالد في دار الخلد وصدق اللّه سبحانه إذ يقول:

﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٧]

ـ عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن اللّه يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى بنفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد: «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللّه على الظالمين».

ومعنى الحديث الشريف: فيضع كنفه عليه أي ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب اللّه عبده خطاباً لطيفاً لا شدة فيه ويناجيه برحمته وواسع عفوه فيقرره بذنوبه وهو يعرفها، فيسأله اللّه: أتعرف هذه الذنوب ذنباً ذنباً فيعترف بها جميعاً.. فيقول له اللّه سبحانه: لقد

سترتها عليك في الدنيا، أي لم أفضحك بها، وأنا أغفرها لك اليوم، نعم إن فضل اللّٰه كان على المؤمنين عظيماً يضاعف الحسنات ويستر المؤمن ويعفو عنه بل ويبدله بسيئاته حسنات.. فأي فضل هذا؟ وأي رحمة هذه؟ وأي كرم إلٰهي هذا في عموم المؤمنين الموحدين؟

خامساً

معاتبة اللّه تعالى عبده فيما وقع منه من تقصير

إن في كتاب اللّه سبحانه آياتٍ يوصي فيها اللّه سبحانه عباده ويطلب منهم أن يفعلوا ذلكِ . . لم يفرضها عليهم إنما أوصاهم بها رحمة بأمة محمد ﷺ فيما بينهم . . فقد أوصى اللّه بالرحمة وضرب لها مثلاً في القرآن الكريم لمحمد ﷺ وصحبه .

يقول تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ .

[سورة الفتح، الآية : ٢٩]

. . . فالرحمة هي التي سألها اللّهُ عبادَه المؤمنين فيما بينهم ومن هذه الرحمة سألنا سبحانه ببناء مجتمع مسلم مبني على المحبة والصدقة والمعروف والإصلاح . يقول تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية : ١١٤]

فمن لم يفعل ما أمر اللّه سبحانه به وتكاسل عنه فقد أضاع أولاً الأجر العظيم ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، ومن ثم لا بد من معاقبته على ذلك التقصير حتى لو غفر اللّه سبحانه له يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« إن اللّه عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لَو عُدْته لوجدتني عنده، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[١] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٥٦٩).

سادساً

المصوّرون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة

نستعرض أحاديث رسول اللّه ﷺ فيما ذكره عن المصورين وعن عذابهم يوم القيامة ثم نفسر هذه الأحاديث ونعلق عليها حتى لا يكون لَبْس في التفسير أو الفَهم.

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها قالت: دخل النبي ﷺ وفي البيت قرام فيه صور، فتلّون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ:

« من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور »(١).

ـ وعن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال:

« إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم »(٢).

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

« كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم »(٣).

هذه الأحاديث في الصحاح ومتفق عليها أي إنها في الدرجة

---

(١) متفق عليه. الفتح ١٣/ ١٣١ ومسلم برقم ٢١٠٧.

(٢) متفق عليه. الفتح ١٢/ ٥٠٨ ومسلم برقم ٢١٠٨.

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث ٢١١٠.

الأولى من الأحاديث الشريفة. . فالعذاب واقع على المصورين. . ولكن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فالصور الفوتغرافية التي أصبحت اليوم من لوازم الحياة وما أشبه بها فهي ليست داخلة في هذه الأحاديث الشريفة وكذلك الصور التي تصور الطبيعة والتي لا روح فيها.

. . . . وربما يكون المقصود بالمصورين هم أولئك الذين ينحتون التماثيل التي تمثل أرواحاً، وكان المقصود فيها التمثيلَ في العبادة أو ما أشبه بذلك، لأن الناس كانوا قبل بَعثة الرسول ﷺ يعبدون الأوثان ويصنعونها بأنفسهم وينحتونها، فلدرء المفسدة من ذلك وحتى لا يعود الناس إلى عبادة الأوثان أو تعظيم التماثيل حرّم التصوير. . فليست القضية بهذه البساطة إنما المقصود العمليةُ الإيمانية والعَقَدية، وأن لا تزيغ النفوس أو تتأثر بهذه المحتويات والصور، وعلى كل نعود فنقول: إنما الأعمال بالنيات. . وإن استطاع الإنسان أن يتحرى الفضيلة ويبتعد ما استطاع عن ذلك فيكون قد استبرأ عما أشكل عليه تفصيلاً. . واللّه أعلم.

سابعاً

صبغة أنعم أهل الدنيا، وأشد الناس بؤساً

في يوم القيامة يأتي اللَّه سبحانه بأنعم أهل الأرض واللَّه أعلم من هو، أي الرجل الذي عاش حياته ولم يرَ فيها إلا النعيم. فلم يذق أي مرارة أو مصيبة أو مرض، وقد أجرى اللَّه سبحانه بين يديه الرزق وفتح له أبوابه دون انقطاع فعاش حياة لم يعش أحدٌ مثلها أبداً.

... وكذلك يأتي اللَّه سبحانه بأشقى أهل الأرض واللَّه أعلم به حيث عاش من مولده إلى موته شقاء عظيماً وحرماناً وفقراً ومرضاً ربما لم ير نعيماً أو ذاق نعيماً قط، فيغمس اللَّه سبحانه أنعم أهل الأرض في النار غمسة لدقائقَ معدودات، وكذلك يغمس أشقى أهل الأرض غمسة في الجنة لدقائق معدودة ثم يُخرجا منهما ويسألهما ربهم.. ماذا وجدتما؟؟

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا واللَّه يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا واللَّه يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[(١)].

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٨٠٧).

- وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول اللَّه تعالى له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ، فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتلَ في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول اللَّه تعالى له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب شر منزل، فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار»[(١)] .

وفي الحديثين حكمة عظيمة إذ يريد اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ أن يعلم الناس أن شقاء الدنيا لا يساوي شيئاً في شقاء الآخرة، وأن نعيم الدنيا لا يعدل شيئاً من نعيم الآخرة. . وأن على الإنسان أن يصبر فيما ابتلاه ربه لأن ما ينتظره من النعيم عند اللَّه سبحانه ينسيه ما شقي به في الدنيا. . وكذلك على الإنسان أن يشكر النعمة التي أنعم اللَّه فيها على عبده في الدنيا، حتى يذوق نعمة الشكر في الآخرة وإلا كانت النار مصيرَه، ودقائق فيها تنسيه نعمته في الدنيا والتي طالت إلى سنوات كثيرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٠٨.

ثامناً

تمثّل الأعمال خيرها وشرها وكلٌّ بصورة مناسبة

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٣٠]

ومعنى الآية الكريمة أي مشهوداً معايَناً أمامها.. والآية الكريمة تدل أن الأعمال جميعاً سوف يحضرها اللّه سبحانه، ليست قراءةً فقط ولكن كل إنسان سيشاهد عمله قد تمثل له وُصوّر.. وهذا الإنسان اليوم، وعلى الرغم من علمه القليل الذي وصفه اللّه سبحانه بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

استطاع من خلال ما نشاهده اليوم من آلات التصوير التي تصور الإنسان في حركاته وأعماله وأقواله صوتاً وصورة، وهذا الإنترنت الذي هو صناعة الإنسان يختزل معلوماتٍ وصوراً وأحداثاً لا أعلم كم حجمها ولكنها تفوق المليارات.. فماذا عند اللّه سبحانه الخالق العليم والقادر المقتدر وهو خالق الإنسان الذي صنع مثل هذا؟

... فاللّه سبحانه قادر على أن يأتي لكل إنسان بعمله مصوراً يراه بأم عينيه، فقد سجّل اللّه سبحانه له عمله بكامل تفاصيله وذراته من أصغرها إلى أكبرها، وسيجده حاضراً أمامه يوم القيامة لا يستطيع نكرانه ولا رده ولا التبرؤَ منه.

ـ عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« الطهور شطر الإيمان، والحمد للَّه تملأ الميزان، وسبحان اللَّه والحمد للَّه تملآن، أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان، والقرآن حجة لك أو عليك»[١] .

فكل ما ذكر في الحديث يتمثل لك بقدرة اللَّه سبحانه والقرآن الكريم يقف معك موقف الحجة إن عملت به، ويقف ضدك إن لم تعمل به.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فِرقان من طير صوافٍّ تحاجّان عن صاحبهما، اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[٢] .

أي من واظب على قراءة سورة البقرة حلّت عليه البركة في عمره وعمله ورزقه وأهله وداره وحفظه اللَّه تعالى من البطلة أي السحرة.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول اللَّه ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعدُ، قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ـ أي

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

ضوء أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما».

ـ وعن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما أن رسول اللّٰه ﷺ قال:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: ربّ منعته الطعام بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: ربّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان».

[رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم كما في الترغيب للمنذري]

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ٣٩ ـ ٤١]

فأثبت سبحانه هنا أن للسعي أمرين: أحدهما أنه يرى، ثانيهما أنه يجزى صاحبه الجزاء الأوفى، فالسعي أي العمل سوف يراه صاحبه وغيره عِياناً متمثلاً بصورة مناسبة له، ولا يجوز أن يقال: سوف يرى جزاءه لأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٠٥]

وهكذا أعمال الشر والمخالفات تتمثل يوم القيامة بما يناسبها في القيامة من الصور المثالية.

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

والمعنى: لا يحسبن الذين يبخلون أن يؤدّوا زكاة أموالهم أن البخل خير لهم، وتوفيرٌ لمالهم وتكثير له وحفظ له من النقصان، بل

إن البخل شر لهم في الدنيا والآخرة، فإنه لا خيرَ في مال لا تُؤدَّىٰ زكاته، وليعلموا أنهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

قال ابن عباس وابن مسعود رضي اللّه عنهما في هذه الآية: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوقه في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه.

وهذا مأخوذ من الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من آتاه اللّه مالاً فلم يؤدِ زكاته مُثل له يوم القيامة شجاعاً** ـ أي ثعباناً عظيماً ـ **أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾»[1].

وروى مسلم عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: انتهيت إلى رسول اللّه ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: «**هم الأخسرون وربِّ الكعبة**»، قال: فجئت حتى جلست فلم ألبث ـ أي أستقر ـ أن قمت، فقلت: يا رسول اللّه! فداك أبي وأمي من هم الأخسرون؟ قال: «**هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا**[2]: **من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم؛ ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس**»[3].

---

(١) (رواه البخاري رضي اللّه عنه. صحيح البخاري).

(٢) المراد: أنهم يكثرون الصدقات في سبيل الخيرات ولا يمنعون خيرهم لعباد اللّه تعالى، فهؤلاء هم السالمون الرابحون من أغنياء المال، ومن عداهم الأخسرون.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

فالحيوانات التي لا تزكى تعاد أسمن ما كانت تنطح صاحبها وتطؤه، والذهب والفضة ونحوهما من المال الذي لا يزكى ويسمى كنزاً، فإنه يمثل لصاحبه ثعباناً عظيماً كما تقدم في الحديث.

- وعن ثَوبان رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**من ترك بعده كنزاً مثّل له يوم القيامة شجاعاً** - أي حية كبيرة - **أقرع له زبيبتان يتبعه، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي خلَّفت، فلا يزال يتبعه حتى يُلقمه يده فيقضمها** - أي يأكلها بأطراف أسنانه - **ثم يتبعه سائر جسده**»[1].

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل إليه ماله** - أي يمثّل له ماله - **يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان. قال: فيلتزمه أو يطوقه يقول: أنا كنزك، أنا كنزك**».

[رواه النَّسائي بإسناد صحيح]

---

(١) رواه البزار وقال: إسناده حسن، والطبراني وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، كما في ترغيب المنذري.

الخاتمـة

أسأل اللَّه تعالى أن أكون قد وفقت في هذا الجزء من الموسوعة إلىٰ بيان واضح وشرح مفصل عن أهم مواقف يوم القيامة، وهو موقف العرض على اللَّه سبحانه وحسابه الخلائقَ جميعاً. . . مع بيان أنني أرجأت الحديث عن حساب الكافرين والمشركين إلى الجزء الثامن من الموسوعة ذلك أن هناك خلافاً بين بعض المفسرين حول حساب الكافرين والمشركين ووزن أعمالهم، حيث قالوا: إن المشركين والكافرين لا يوزن لهم عمل لأنه لا يوزن مع الكفر عمل حيث قَدِم اللَّه إلى ما عملوا من عمل فجعله هباء منثوراً، وعدِموا حجتهم من القرآن الكريم وهذا ما يأتي بيانه بإذن اللَّه تعالى في الجزء الثامن. . ولقد أخرنا مناقشة هذا الأمر للجزء الثامن والذي هو بعنوان (الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات، لعلاقة وزن أعمال الكافرين والمشركين بالحديث عن الميزان واستلام الصحف، وهل للكافرين والمشركين ميزان ومرور على الصراط؟؟

. . . المهم أننا بذلنا في هذا الجزء من الموسوعة كل إمكانية واعتمدنا الصحيح من الأحاديث والأقوال، ليكون ما عرض صحيحاً وسليماً لا يشوبه شك أو ضَعف. . . ولقد وثقنا كل المعلومات بالآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ وهما خير شاهد على سرد الأحداث وصحتها، ومن البيِّن الواضح كثرة الشواهد أيضاً من آراء المفسرين والمحللين وأصحاب الرأي السديد ليكون العمل مكتملاً قدر الإمكان بشواهده وآرائه.

. . . فما من كاتب وإلا ويقدم جهداً في كتابه الذي كتبه حتى يخرج إلى الناس بشكل صحيح سليم. . . ولقد كان الجهد المبذول في هذا الجزء هو تحري الصحيح من كل الشواهد واعتماد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كشاهد أول مع التفسير والتحليل، ذلك أن هذا العمل للّه سبحانه ويتحدث عن اليوم الآخر وهي مسؤولية جسيمة على الكاتب أن يتحرى فيها الصدق، فالحديث هو عن اللّه سبحانه واليوم الآخر فكيف لا يكون الكلام صادقاً وصحيحاً؟ . . . فالوقوف بين يدي اللّه سبحانه أمر عظيم مهيب، فلا بد من صدق الحديث وصحته حتى يكون المقدِّم لهذا العمل مأجوراً من اللّه سبحانه محصلاً بعمله رضا اللّه يوم يلقاه وليس سخطَه وغضبَه. .

لذا أرجو اللّه سبحانه أن يقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وما قصرت فيه فمن واقع ضعف الإنسان وقلة علمه.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢٨]

. . . لذا أرجو من اللّه المغفرة والرحمة فيما أخطأت، وما أصبت فيه فأرجو اللّه سبحانه أن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساهم معي في هذه الموسوعة يوم القيامة، واللّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللّه ـ وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

ماهر أحمد الصوفي.
أبو ظبي ص. ب . ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الإهـداء ١٣
المقدّمـة ١٥

الفصل الأول

مدخل ٢١
نزول الملائكة من أرجاء السموات ٢٤
العرض على اللَّه تعالى ٣٠
عرض الأمم على النار ٣٥
بداية العرض بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بفصل القضاء ٤٠
أول العرض دعوة آدم عليه السلام ليخرج من ذريته أهل النار ٤١
دعوة الرسل أجمعين لسؤالهم عن تبليغ رسالات اللَّه
إلى أقوامهم ٤٦
سؤال عيسى ابن مريم عليه السلام وتبرُّؤه ممن اتخذه وأمه إلٰهين
من دون اللَّه ٥٣
دعوة الأمم وسؤالهم مجتمعين أمة أمة ٥٥
شهادة اللَّه سبحانه على الأمم أعظم الشهادات ٥٩
الشهادة يوم القيامة وإكرام أمة محمد ﷺ بشهادتهم
على جميع الأمم ٦١
شهادة الرسل على أقوامهم وأممهم ٦٦

دعوة الشركاء الذين زعم الكافرون أنهم شركاء للّه سبحانه
وتعالىٰ عما يشركون ٦٨
براءة الملائكة من تُهَمَةِ التأليهِ من الأقوام المشركة والكافرة ٧٢
الاختصام يوم القيامة بين الجماعات والأمم في الكفر والحقوق ٧٥
الاختصام بين الإنس والجن ومحاسبة الجن والشياطين ٨٤
القصاص من الوحوش والأنعام ومحاسبتها وتحويلها تراباً ٩٢

الفصل الثاني

عالم السؤال والحساب ٩٩
عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ٩٩
أولاً: السؤال عن الإيمان والكفر ١٠٠
ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد)
وعما استرعاه اللّه سبحانه ١٠١
ثالثاً: السؤال عن السمع والبصر والفؤاد ١٠٢
رابعاً: السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد
وعن مرحلة الشباب والقوة ١٠٥
خامساً: السؤال عن النعيم (النعم والآلاء) ١٠٨
سادساً: السؤال عن العهود والمواثيق ١١١
عالم الحساب ١١٣
مَـدخل ١١٣
آيات الحساب في القرآن الكريم ١١٧
أول الحساب وضع المظالم وأخذ الحقوق وردها لأصحابها ١٢٠
الحساب الفردي، القاعدة الإلٰهية في الحساب، حساب الأعمال
بالنيات ١٢٧

العدل المطلق في الحساب، لا ظلم اليوم إن اللّه سريع الحساب ١٣٠
لا ترجُمان ولا حميم ولا شفيع عند الحساب بين يدي اللّه سبحانه ... ١٣٢
إتيان اللّه سبحانه العباد كتبهم ليقرؤوها فيحاسبوا أنفسهم
قبل أن يحاسبوا ١٣٣
تصوير القرطبي لمشهد الحساب ١٤١

الفصل الثالث

حساب المؤمنين ومنهم أمة محمدﷺ ١٤٧
١ ـ عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم ١٤٧
٢ ـ الأتقياء من المؤمنين عند الحساب وأحوالهم ١٤٧
أمة محمدﷺ أول من يحاسب من بين الأمم ١٤٩
ـ أول الناس حساباً وقضاءً يوم القيامة المراؤون والمنافقون ١٥٠
ـ عظم شأن الدماء وأول ما يقضى بين العباد في الدماء ١٥٠
عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم ١٥٣
مدخل ١٥٣
أولاً: الذين لا يؤدون فريضة الصلاة ١٥٥
ثانياً: الذين لا يؤتون الزكاة ١٥٨
ثالثاً: التاركون لفرض الصيام ١٦٢
رابعاً: التاركون لفرض الحج ١٦٢
خامساً: آكلو الربا ١٦٣
سادساً: مدمنو الخمر ١٦٥
سابعاً: العاق لوالديه (العقوق) ١٦٦
ثامناً: المتكبرون ١٦٧

تاسعاً: الغادرون وفضيحتهم ١٦٩
عاشراً: الغلول ١٧١
أحد عشر: صاحب الوجهين ١٧٣
اثنا عشر: المنان بما أعطى ١٧٣
ثلاثة عشر: غاصب الأرض ١٧٤
أربعة عشر: الدَّيوث والشيخ الزاني والمرأة المسترجلة ١٧٥
خمسة عشر: الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ١٧٦
ستة عشر: الذي يسأل الناس وعنده من الرزق ما يكفيه ويغنيه ١٧٦
سبعة عشر: الذين يكذبون في حلمهم ويستمعون للناس
وهم لهم كارهون ١٧٧
ثمانية عشر: السحرة والعرَّافون ١٧٧
تسعة عشر: أكل أموال اليتامى ظلماً ١٧٨
عشرون: التولي يوم الزحف (الجهاد) ١٧٩
واحد وعشرون: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات ١٨٠
اثنان وعشرون: كتم العلماء لعلمهم واحتجابهم عن الناس ١٨٠
ثلاث وعشرون: أصحاب الأيمان الكاذبة ١٨١
أربع وعشرون: جر الثوب استكباراً وخيلاء ١٨١
الأتقياء من المؤمنين وحالهم عند العرض على اللّٰه سبحانه
وحسابهم ١٨٣
مدخل ١٨٣
أولا: السبعة الذين يظلهم اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله ١٨٦
ثانياً: المتحابون في جلال اللّٰه تعالى ١٨٧

ثالثاً: أهل الصلاة وعمار المساجد والمشاؤون إليها ١٨٧
رابعاً: المتوكلون على اللَّه سبحانه ١٩١
خامساً: أهل الصبر والبلاء ١٩٢
سادساً: أهل القرآن الكريم القارئون والحافظون العاملون به...... ١٩٥
سابعاً: أهل الصدقات المؤقتة والصدقات الجارية............... ١٩٦
ثامناً: الشهداء في سبيل اللَّه والمجاهدون ١٩٨
تاسعاً: أهل الذِّكر والتسبيح والاستغفار والصلاة
على النبيﷺ ٢٠٠
فضل الاستغفار... ٢٠١
فضل ذكر اللَّه سبحانه ٢٠٢
فضل تسبيح اللَّه تعالى ٢٠٤
فضل لا حول ولا قوة إلا باللَّه............................. ٢٠٥
فضل الصلاة على النبيﷺ ٢٠٥
عاشراً: التائبون الصادقون ٢٠٦
أحد عشر: فضل العلماء وأهل العلم ٢٠٧
اثنا عشر: الذين يتجاوزون عن المعسرين ويضعون
عنهم ويتصدقون.. ٢١٠
ثلاثة عشر: الذين يسعون في حاجة إخوانهم
ويسدون خَلتهم ويصلحون بينهم ٢١١
أربعة عشر: فضل عتق الرقاب المسلمة ٢١٣
خمسة عشر: فضل قيام الليل ٢١٤
ستة عشر: فضل الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
مرضاة للَّه سبحانه ٢١٥

سبعة عشر: التائبون الصادقون الذين يبدل اللّه سيئاتهم حسنات ٢١٦
ثمانية عشر: فضل الدعاة إلى اللّه والخطباء والواعظين والمؤذّنين ٢١٧
تسعة عشر: الذين يشيبون في الإسلام ٢١٩
عشرون: فضل الوضوء والطهارة ٢٢٠
واحد وعشرون: العادلون في حكمهم على ما ولوا من أهلهم والرعية ٢٢٢

الفصل الرابع

الحساب الفردي وأنواع الحساب للمؤمنين ٢٢٣
الذين يدخلون الجنة بغير حساب ٢٢٥
١ ـ المتوكلون على اللّه سبحانه ٢٢٥
٢ ـ القائمون الليل ٢٢٧
٣ ـ قارئ القرآن ابتغاء وجه اللّه تعالى، وعبد أحسن ما بينه وبين ربه ٢٢٧
٤ ـ العلماء العاملون ٢٢٧
٥ ـ الشهداء والعافون عن الناس ٢٢٨
٦ ـ الحمادون في السراء والضراء، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه تعالى ٢٢٨
الحساب اليسير والحساب العسير ٢٢٩
١ ـ الحساب اليسير ٢٢٩
٢ ـ الحساب العسير ٢٣٠

مناقشة المرائين وافتضاح أمرهم ٢٣٥
عرض اللَّه سبحانه ذنوب عبده عليه ٢٣٩
معاتبة اللَّه تعالى عبدَه فيما وقع منه من تقصير ٢٤١
المصوّرون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ٢٤٣
صبغة أنعم أهل الدنيا، وأشد الناس بؤساً ٢٤٥
تمثّل الأعمال خيرها وشرها، وكلٌ بصورة مناسبة ٢٤٧
الخاتمة ٢٥٣
كتب وأبحاث صدرت للمؤلف ٢٥٥
مراجع موسوعة الآخرة ٢٥٩
فِهْرِس المحتويات ٢٦٣

سلسلة

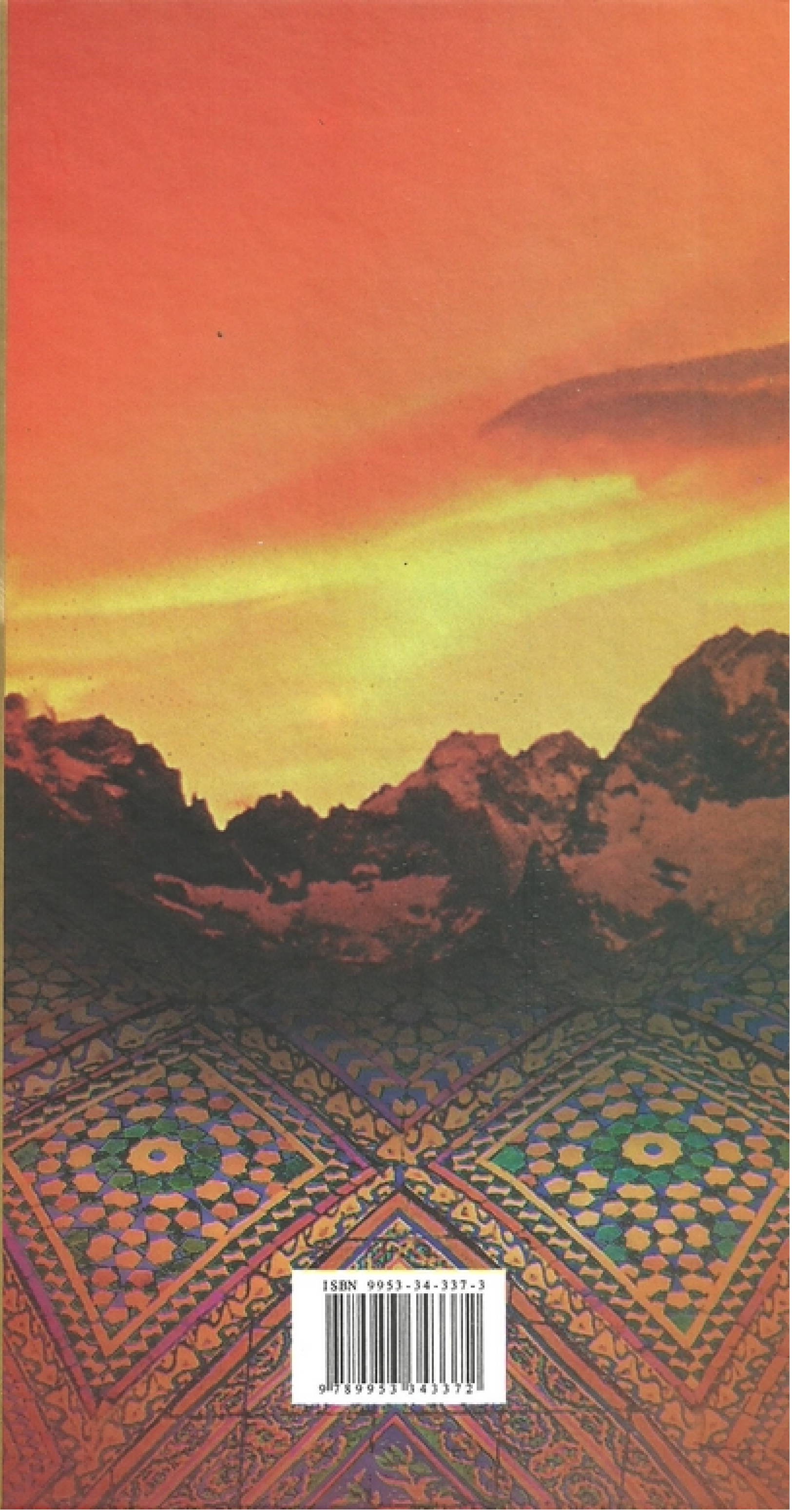
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-337-3
9789953343372